عَبرَة العينِ

في

مُصابِ الإمامِ الحسين 



تأليف

سماحة العلامة المجاهد

السيد صدر الدين القبانچي

«دامت بركاته»

إعداد وتحقيق

مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

هوية الكتاب:

الكتاب: عبرة العين في مصاب الإمام الحسين عليه السلام
المؤلف: السيد صدر الدين القبانچي
الناشر: مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا وحبيب قلوبنا محمّد وعلى آله الطاهرين المنتجبين.

ورث ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه وحبيبه وقرّة عينه الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، جدّه المصطفى خاتم الأنبياء ﷺ، وورث أباه المرتضى خاتم الأوصياء عليه السلام، بل ورث _ قبل ذلك _ آدم عليه السلام صفوة الله، وإبراهيم عليه السلام خليل الله، ونوحاً عليه السلام نبيّ الله، وموسى عليه السلام كليم الله، وعيسى عليه السلام روح الله.

ورثهم في كمالاتهم ومزاياهم وسجاياهم، وورثهم في الخطّ والنهج والأمانة على الرسالة والشهادة على الأمّة.

فلا غرابة إذاً إن قال في حقّه من لم يَفُه إلاّ حقّاً، ولم ينطق إلاّ وحياً وصدقاً: «حسينٌ منّي وأنا من حسين».

ولو تأمّلنا _ أدنى تأمّل _ في الفقرة الثانية من كلامه الشريف ﷺ لتجلّت أمامنا كالشمس في رابعة النهار حقيقة أنّ الإسلام إذا كان محمّديّ الحدوث والوجود، فإنّه _ بلا أدنى ريب _ حسينيّ البقاء.

لقد أروى الحسين عليه السلام شجرة الإسلام العطشى بدمائه الزكيّة، ووهبها حشاشة نفسه، ومنحها مُهجة قلبه، فأينعت وأورقت وأثمرت وأضحى أصلها ثابتاً وفرعها في السماء، ولولا دماء الحسين عليه السلام لصادرت شرذمة آل أميّة الهمجيّة الصرح الإسلامي بكلّ مُعطياته، بعد أن نزوا على منبر رسول الله ﷺ كما تنزو القردة، وبعد أن صارت الخلافة الإسلاميّة الراشدة ملكاً عضوضاً يتوارثه بنو أميّة ويتلاعب به صبيان بني العاص، ويتلاقفونه تلاقف الكُرة، وبعد أن جهر أميرهم _ بعد أن لطّخ يديه بدماء سيّد شباب أهل الجنّة _ بأنّه قضى من النبيّ ﷺ دَينه وشفى غليله، ولمّا كان المرء مع من

أحبّ، على حدّ قول النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله، ولم يكن الدين إلاّ الحبّ في الله والبُغض في الله؛ فقد أمرنا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وأمرنا الأئمّة الأطهار عليهم السلام من بعده أن نبكي على الحسين عليه السلام بعد أن اقشعرّت لمصيبته أظلّة العرش، وبكت لمصيبته ملائكة السماوات وحملةُ العرش، وبكى الإنس والجنّ، وبكت حتّى الوحوش في البرّ والحيتان في البحر.

كان بكاؤنا _ إذاً _ تجسيداً لموقفنا من واقعة الطفّ، وانحيازاً منّا مع الحقّ والعدل واليقين، ونفوراً من الباطل والظُلم والكُفر، وشعوراً بفداحة وعمق المصاب الجلل الذي لحق بالإسلام والمسلمين بفقد خامس أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وكان _ فوق ذلك _ متابعةً منّا لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي انحاز إلى صفّ هؤلاء الأطهار (عليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام) وأعلن دونما مواربة: «أنا سِلم لمن سالمكم وحربٌ لمن حاربكم».

نرتجي ببكائنا أن يشملنا دعاؤه صلى الله عليه وآله: «أحبَّ الله مَن أحبّ حسيناً».

وهذا الكتاب الماثل بين يديك _ عزيزي القارىء _ إضمامة من مصائب العترة عليهم السلام تستدرّ من الأعين العَبرة، وتستدعي من القلوب العِبرة، جهد مؤلّفُه سماحة العلامة المجاهد حجة الإسلام والمسلمين السيد صدر الدين القبانچي (حفظه الله) في جمعها وانتقائها، في تأكيدٍ على أهميّة تعاهد الشعائر الحسينيّة ورعايتها.

ومن دواعي التوفيق أن يتكفل مكتب إمام جمعة النجف الأشرف لإعداده ونشره.

نسأل الله عزّوجلّ أن يوفّقنا لخدمة دينه ونشر سنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنّه خيرُ مَن سُئل وأكرم من أعطى.

مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

١ / رمضان / ١٤٢٥ هـ

إيضاح وتقديم:

كنت أجد وأنا أقدّم لإخواني المجاهدين المقاتلين في فيلق بدر أيام الحرب العراقيّة الإيرانيّة أحاديث ومحاضرات تربويّة ودينيّة أن ربط تلك الأحاديث والمحاضرات بحركة الحسين عليه السلام وواقعة كربلاء يعطي لتلك المحاضرات مزيداً من التأثير والنفوذ إلى القلب، ويصبغ تلك الأحاديث بلون حسيني معطّر بمعاني الجهاد والشهادة.

لذا فقد أعددت هذه المختارات من روايات القصة الحسينيّة لاعتمادها وقراءتها في ختام تلك الأحاديث والمحاضرات.

وقد رأى لي بعض الإخوة الأعزاء أن نقدّمها للطباعة عسى أن تحقق بعض الفائدة، وأسأل الله تعالى أن يتقبل ذلك مني ويعفو عني بعفوه ويرزقني شفاعة سيدي ومولاي الحسين عليه السلام ويلحقني به وبالشهداء من أصحابه.

هذا وقد كنت قد أضفت فصولاً أخرى في دفاتري الخاصة في مقتل الإمام علي عليه السلام وشهادة الزهراء عليها السلام، ولمزيد من الفائدة رأيت تقديمها في هذا الكتاب.

صدر الدين القبانچي
٣ / ربيع الثاني / ١٤٢٥هـ
النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

فكرة الكتاب:

لما كان الخطيب الحسيني لا يستغني عادة عن اختتام حديثه باستعراض مشهد من مشاهد مصيبة الطف، أو حدث من أحداث ثورة الحسين عليه السلام، أو قضية وأخرى، مما يرتبط بالحسين عليه السلام وجدت الحاجة ماسة إلى تدوين ما يستعان به لذلك ليكون جاهزاً لنفسي وللإخوة الراغبين في سلوك هذا الطريق الشريف، وقد حاولت جهدي التقيّد بما جاء في المصادر التاريخية المعتبرة ومما تناقله العلماء بعيداً عن الروايات المجهولة أو غير المناسبة. وعلى الله التوكل ومنه التوفيق، وقد ذكرنا بعضاً مما يتناوله الخطباء دون أن نعثر على مصدره وأشرنا إلى ذلك بالقول (وقد ذكر أهل المنبر) أو (والمعروف بين الخطباء...) ونأمل أن يوفقنا الله تعالى في فرصة أوسع للتدقيق والتحقيق والتوسع فيما نقلناه والحمد لله.

صدر الدين القبانجي

إيران / ١٤٠٦ هـ

(١)

في ثواب البكاء على مصيبة الحسين عليه السلام

روى العلاّمة المحدث الشيخ عباس القمي في كتاب (نفس المهموم) أربعين حديثاً في باب ثواب البكاء على مصيبة الحسين عليه السلام وثواب اللعن على قتلته، وقد ذكر أسانيده في تلك الأحاديث، ونحن فيما يلي نذكر بعضاً منها إن شاء الله تعالى.

١ _ روى بإسناده المتصل إلى الريّان بن شبيب قال:

«دخلت على أبي الحسن الرضا صلوات الله عليه في أول يوم من المحرّم فقال لي:

«يابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب فإنه ذُبح كما يُذبح الكبش، وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم شبيهون في الأرض...

يابن شبيب، إن كنت بكيت على الحسين عليه السلام حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يا بن شبيب: إن سرّك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام...

يا بن شبيب إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً).

يا بن شبيب إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى في الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا...»[١].

---

(١) الحديث طويل نقلنا مقاطع منه.

٢ _ وروى بالاسناد المتصل عن أبي هارون المكفوف قال:

«دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي:

أنشدني فأنشدته، فقال: لا! كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره، فأنشدته:

أمرر على جَدَثِ الحسين وقل لأعظمه الزكيّه(١)

فبكى، قال: فلما بكى أمسكت أنا، فقال: مر، فمررت، ثم قال: زدني، قال: فأنشدته:

يافرو قومي واندبي مولاك وعلى الحسين فاسعدي ببكاك

قال: «فبكى وتهايج النساء، قال: فلما أن سكتن قال لي: يا أبا هارون، من أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرة فله الجنة، ثم جعل ينتقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد فقال: من أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى واحداً فله الجنة، ثم قال: من ذكره فبكى فله الجنة».

٣ _ وبسنده عن مسمع بن كردين قال:

«قال لي أبو عبد الله عليه السلام يا مسمع أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟

قلت: لا، أنا رجل مشهور من أهل البصرة وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة، وأعداؤنا كثير من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا على حالي عند ولد سليمان فيميلون عليّ.

قال لي: أفما تذكر ما صُنع به؟ قلت: بلى.

قال: فتجزع؟ قلت: أي والله وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي.

قال: رحم الله دمعتك... قال: ثم استعبر واستعبرت معه.

---

(١) أبيات للسيد الحميري.

فقال: الحمد لله الذي فضّلنا على خلقه بالرحمة وخصّنا أهل البيت بالرحمة، يا مسمع إن الأرض والسماء تبكي منذ قتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمة لنا، وما بكى لنا من الملائكة أكثر، وما رقأت دموع الملائكة منذ قُتلنا، وما بكى أحدٌ رحمة لنا ولما لقينا إلا رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه... إلى أن قال: وإنّ الموجع قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته فرحةً لاتزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض».

٤ _ وبسنده المتّصل إلى الشيخ الصدوق عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «من تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكّر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

٥ _ وباسناده المتصل إلى الشيخ الصدوق أيضاً عن بكر بن محمد الأزدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«قال لفضيل: تجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك. قال: إن تلك المجالس أُحبها، فأحيوا أمرنا، يافضيل فرحم الله من أحيى أمرنا، يا فضيل من ذكرنا أو ذُكِرنا عنده فخرج من عينيه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر».

٦ _ وأيضاً بسنده المتصل إلى الشيخ الصدوق عن الرضا عليه السلام أنه قال:

«إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين عليه السلام فليبك الباكون، فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام.

ثم قال: كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام.

أجل:

تبكيك عيني لا لأجل مثوبةٍ لكنما عيني لأجلك باكية

(٢)
في فضل المجالس الحسينية

ذكر العلاّمة التستري رضوان الله عليه في كتابه (خصائص الحسين عليه السلام) إن مجلس الحسين عليه السلام يتصف بأربعة عشر صفة، وقد أورد الأحاديث المروية في ذلك، ونحن هنا نكتفي بتعداد هذه الصفات. قال:

الأوّل: أنه مصلى لله، يعني محل صلواته على أهله.

الثاني: أنه مشهد للملائكة المقرّبين.

الثالث: أنه محل نيل الدعاء من النبي والوصي والزهراء والمجتبى صلوات الله عليهم.

الرابع: أنه منظر الحسين عليه السلام.

الخامس: أنه محل خطابه لأهل المجلس ومكالمته معهم.

السادس: أنه محبوب للصادق عليه السلام.

السابع: أنه عرفة.

الثامن: أنه مشعر حرام.

التاسع: أنه حطيم.

العاشر: أنه مطاف لبيت الله.

الحادي عشر: أنه قبلة الحسين عليه السلام.

الثاني عشر: أنه مخَمّد للنيران المشتعلة.

الثالث عشر: أنه منبع لماء في الجنان وهو ماء الحَيَوان.

الرابع عشر: أنه يصير تلو مجالس أوّلها قبل الخلق وآخرها المحشر.

ثم قال رضوان الله عليه:

إذا تصورت ما قلته فكيف تتصور أنك تخرج خالياً آيساً من هذه المشاهد مع هذه الحالات والعبادات واجتماع الصفات.(١)

وفي هذا يقول الشاعر:

ليت شعري هل تحرق النار عيناً   بكت لرزء القتيل بسيف الضُباب

نعم رحمة الحسين عليه السلام أعظم من أن يترك شيعته، وهو لم ينسهم حين كان على رمضاء كربلا، وقد صار لسانه كالخشبة اليابسة من شدة العطش، تروي سكينة أنها سمعت أباها يقول:

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني   أو سمعتم بجريح أو قتيل فاندبوني

فأنا السبط الذي من غير جرمٍ قتلوني   وبجُرد الخيل بعد القتل عمداً سحقوني

* * *

(٣)
ما يقال عند ذكر الحسين عليه السلام

وموارد استحباب ذكره عليه السلام:

طالما أكّد الأئمة الطاهرون عليهم السلام على استحباب ذكر الحسين عليه السلام في مواضع متعددة، وحتى ورد في بعضها تحديد كيفية الذكر.

ففي رواية الريّان بن شبيب عن الإمام الرضا عليه السلام حين دخل عليه في أول يوم من محرّم قال عليه السلام في جملة ما قال:

«يا بن شبيب إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: ياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً».(٢)

---

(١) خصائص الحسين عليه السلام: ١٢.

(٢) نفس المهموم: ٣٦.

وفي رواية أخرى للفضيل بن يسار عن الإمام الصادق عليه السلام يقول:

«قلت له: جعلت فداك إني أذكر الحسين عليه السلام فأيّ شيء أقول إذا ذكرته؟

فقال عليه السلام: قل «صلى الله عليك يا أبا عبد الله تكرّرها ثلاثاً».[١]

نعم، من جملة الموارد التي يستحب فيها ذكر الحسين عليه السلام عند شرب الماء.

فقد ورد في الرواية عن داود الرقيّ قال:

كنت عند أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام إذ استسقى الماء، فلما شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه ثم قال لي:

«يا داود لعن الله قاتل الحسين، فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلا كتب الله له مائة ألف حسنة، وحَطّ عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله يوم القيامة ثلج الفؤاد».[٢]

* * *

الحقيقة أن هذا الحكم الشرعي، يعني هذا الاستحباب، إنما هو في بعض دلائله تذكير بعطش الحسين عليه السلام ومأساة الحسين عليه السلام.

يقول حميد بن مسلم _ فيما يرويه خطباء المنبر _: رأيت شفتي أبي عبد الله الحسين تتحركان بكلام لم أفهمه، قلت في نفسي لو أن الحسين يدعو علينا هلكنا وربِّ الكعبة، دنوت منه لأسمع ما يقول، سمعته يقول: يا قوم اسقوني جرعة من الماء، وحق جدي أنا عطشان، لقد تفتّت كبدي من الظمأ.

يقول: أقبلت إلى ابن سعد قلت له: يا بن سعد إنّ الرجل ضعف ولا قدرة له على حمل السلاح، أتأذن لي أن أسقيه قليلاً من الماء، فسكت، قلت:

(١) نفس المهموم: ٤٧٧.

(٢) نفس المهموم: ٤٦.

إن السكوت من الرضى، أقبلت إلى المشرعة فملأت القربة، فلما عدت مسرعاً نظرت وإذا رأس الحسين على رأس رمح طويل.

* * *

(٤)
النجاة في سفينة النجاة

من المفيد أن نورد لكم ما ينقله العلامة التستري عن نفسه[1] والعلامة التستري هو قدوة العلماء والمحدّثين، ولذا يجب الاعتبار والاستفادة من حديثه، وله كتاب من أعظم ما كُتب في الحسين عليه السلام أسماه (خصائص الحسين عليه السلام).

يقول العلامة التستري في عرض الحالات التي طرأت عليه من الخوف والرجاء ثم الانتهاء أخيراً إلى تأكد الأمل والرجاء بالنجاح والفوز وذلك بوسيلة الحسين عليه السلام وسفينته، يقول رضوان الله عليه: مرّت عليّ عدة حالات:

١ _ حالة اليأس من صالح الأعمال، واليقين بفقدان علامات الإيمان، والقطع باستحقاق الخلود في النار.

٢ _ الاطمئنان بالوسائل المقرّبة إلى الله تعالى، ومنها أنني من أمّة محمد صلى الله عليه وآله وشيعة علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام وهم الكهف الحصين... فعاد الأمل.

٣ _ الالتفات إلى أن الدخول في أمة محمد صلى الله عليه وآله وشيعة علي عليه السلام يحتاج إلى مواصفات وشروط واقتداء بهم عليهم السلام، وهذا غير موجود، فعاد الخوف.

٤ _ النظر في وسيلة سيد شباب أهل الجنة وخصائصه أنه سفينة النجاة ومصباح الهدى، ووجدت في أعمالي ما يؤكد هذه الوسيلة عندي، منها البكاء عند ذكره وذلك علامة الإيمان كما ورد في الحديث: «أنا قتيل العبرة،

---

(١) في مقدمة كتابه خصائص الحسين فراجع.

ما ذُكرت عند مؤمن إلا بكى» ومنها عروض الكآبة والحزن أيام عاشوراء وذلك من علامة الشيعة «يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا».

كما أن سائر أعمالي العبادية إذا كان يصح سلب الاسم عنها فالبكاء ليس كذلك، وقد ورد «من بكى أو أبكى أو تباكى وجبت له الجنة» فحصل الاطمئنان والأمل.

٥ _ التفكر في احتمال أن يكون هذا المقدار من الإيمان عارضاً غير مستقر، فيزول بأدنى هزّة، فعرض الخوف.

٦ _ النظر في أن الثواب الذي يعطى لزائريه لا يمكن أن يكون للإيمان المستودَع، لأسباب، منها أن الله يسلّم عليه ويزوره، وأنه يزور الله في عرشه، فعاد الأمل.

٧ _ النظر في أن السيّئات تحبط الحسنات، فعاد الخوف.

٨ _ النظر في أن الحبط إنما يعرض على أعمال الشخص، أمّا في الوسائل الحسينية فإن فيها أعمال الغير من قبيل أنّ من زاره كُتبت له حجة نبي، فعاد الأمل.

٩ _ خفت أن يذهب بالعمل حقوق الناس حيث ورد أن أهل المظالم يأخذون الأعمال الصالحة ويحمل على الظالم ذنوب المظلومين.

١٠ _ الاطمئنان بما ورد «أن في الدمعة ثواب لاحدّ له» وهذا ما لا يفنى.

١١ _ رأيت أن شرط قبول الأعمال قبول الصلاة، ولا أعلم أنّ صلاتي كذلك، فعاد الخوف واستشكل عليّ الأمر وكاد يغلبني القنوط.

١٢ _ تأكد الرجاء والأمل بالنظر إلى وسيلة الحسين عليه السلام وخصائصه فنظرت: أن الشرط لقبول الصلاة هو الإقبال، ويحل محله النوافل، ورأيت أنّ وسيلة الحسين عليه السلام أفضل من النوافل.

ونظرت أيضاً أن الشرائط لقبول الصلاة إنما هي في أعمال الإنسان، أمّا

في وسيلة الحسين عليه السلام ففيها ماليس هو من عمل الإنسان مثل رقّة القلب والدمعة، فحصل الرجاء.

ولهذا يقول شاعر أهل البيت عليهم السلام دعبل الخزاعي في قصيدته المعروفة:

فيا رب زدني في هواي بصيرة وزد حبّهم يا ربّ في حسناتي
فإني من الرحمن أرجو بحبهم حياةً لدى الفردوس غير بتات
لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

وهنا قال له الإمام الرضا عليه السلام: «آمنك الله يا دعبل».

نعم يستعرض دعبل في هذه القصيدة التي أنشدها بمحضر الإمام الرضا عليه السلام مصائب آل رسول الله صلى الله عليه وآله وما جرى عليهم إلى أن يقول:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات

* * *

(٥)
أهداف ثورة الحسين عليه السلام

كان واضحاً لدى المسلمين يومئذ أنّ سفر الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة هو تعبير عن رفض البيعة ليزيد وبداية السير في طريق الثورة عليه.

ولقد أشار عدد من الشخصيات الإسلامية (الصحابة أو التابعين) على الحسين عليه السلام بأن لا يخرج، إلاّ أن الحسين عليه السلام كان مصمّماً على الثورة وكان يجيب هؤلاء بأجوبة مختلفة، وربما يكون السرّ في تعدد هذه الأجوبة أن الإمام الحسين عليه السلام كان يتعامل في مقابل الإجابة مع كل شخص بسبب ما يناسبه ويناسب طريقة تفكيره.

١ _ الحسين عليه السلام يشرح الأبعاد الحقيقية للثورة ويصرح بالثورة فيقول:

«ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، ألا وإني لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برما.

ويقول: «ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحلٌ مصبحاً إن شاء الله ...».

وهو هنا يصرّح بأنه سوف يستشهد فيقول:

«كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلا، فيملأن منّي أكراشاً جوفاً وأجربةً سغباً».

وهكذا يقول عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب».

إذن فالحسين في هذه الخطب والوصايا والنصوص يصرّح بالثورة، ويشرح فلسفة حركته عليه السلام.

٢ ـ ومرة أخرى نجده عليه السلام يبين جانباً آخر لحركته، وهو أنه عليه السلام مضطر للخروج، بل إنه مقتول لا محالة سواء خرج أو لم يخرج، إذن فلا داعي للتخوف عليه من القتل لو خرج.

يقول لعبد الله بن الزبير: «لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم».

ويقول لأخيه محمد بن الحنفية: «شاء الله أن يراني قتيلاً».

٣ ـ ويعلّل ثالثة خروجه بشكل آخر، فقد قال لعبد الله بن جعفر: «إني رأيت رسول الله في المنام وأمرني بأمرٍ أنا ماضٍ له».

٤ ـ وأحياناً يعللّ خروجه عليه السلام بأن أهل العراق كاتبوه ولابدّ أن يستجيب لدعوتهم، بل يكتب لأهل الكوفة أنفسهم بأنه إنما يقدم عليهم على أساس من كتبهم وبيعتهم ورغبتهم، ففي الكتاب الذي بعثه لهم في شأن مسلم بن عقيل يقول عليه السلام:

«فإن كتب أنه قد اجتمع رأي مِثلِكم وذوي الفضلِ والحجى منكم على مِثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأت من كتبكم أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله...».

* * *

ومهما اختلفت العبارات في تبرير نهضة الحسين عليه السلام فإنّ الحقيقة واحدة وهي أن الحسين عليه السلام أبى أن يرضخ هو ومن معه للانحراف والطغيان قائلاً:

«ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلة».

فالصورة واضحة تماماً لدى الحسين عليه السلام ولا مجال للتشكيك في ذلك أبداً.

* * *

يذكر المؤرخون أنّ الحسين عليه السلام أقبل إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً:

«اللهم إنّ هذا قبر نبيك محمد صلى الله عليه وآله وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الأمر ما قد عملت، اللهم إني أحبّ المعروف وأُنكر المنكر، وأسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ القبر ومَن فيه إلاّ اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك رضى، وبكى عليه السلام».

تقول الرواية: ولمّا كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر فغفى، فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله في كتيبة من الملائكة عن يمينه وبين يديه، فضمّ الحسين إلى صدره وقبّل بين عينيه وقال: حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرمّلاً بدمائك مذبوحاً بأرض كربلاء...».

هذا الموضوع يذكّرنا بنداء العقيلة زينب ونُدبتها لجدّها وأبيها يوم العاشر قائلة:

«يا محمداه، صلى عليك مليك السماء، هذا حسينٌ مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا...».[1]

---

(١) نفس المهموم: ٣٧٦.

وروى الشيخ المفيد في الإرشاد:

«إن العقيلة زينب خرجت إلى باب الفسطاط فنادت عمر بن سعد:

ويحك يا عمر أيُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فلم يجبها عمر بشيء، فنادت: ويحك، أما فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحد شيئاً.

* * *

لم أنس زينب بعد الخدر حاسرة	تبدي النياحة ألحاناً فألحانا
تدعو أباها أمير المؤمنين ألا	يا والدي حكمت فينا رعايانا

* * *

(٦)
سفر الحسين عليه السلام إلى العراق

لما هلك معاوية وبويع بعده يزيد بن معاوية كان أمام الحسين عليه السلام أحد مواقف ثلاثة:

الأول: البيعة ليزيد.

الثاني: الفرار في أطراف البلاد، وقمم الجبال، وهذا الرأي هو ما أشار به عليه محمد بن الحنفية، فقد سأله الحسين عليه السلام في حديث طويل حين نهاه عن الخروج إلى العراق، فقال له عليه السلام:

«فأين أذهب يا أخي؟

قال: إنزل مكة فإن اطمأنت بك الدار فيها فهو الذي تحب، وإن نَبَت بك لحقت باليمن، فإن اطمأنت بك الدار فيها فسبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعب الجبال وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر ما يصير أمر الناس إليه، فإنك أصوب ما تكون رأياً حين تستقبل الأمر استقباله».[1]

---

(١) نفس المهموم: ٧١.

الثالث: العصيان بالمدينة ورفض البيعة، وهذا الموقف هو ما اختاره عبد الله بن الزبير حيث جمع أصحابه من حوله واحترز بهم، فأرسل إليه الوليد يطلب البيعة، وأكثر الإرسال مما اضطر ابن الزبير للفرار لعدم قدرته على المقاومة.

الرابع: إعلان الثورة على الحكم الأموي.

وهذا الموقف هو الذي اختاره الحسين عليه السلام، واستطاع أن يحقق بموقف الرفض هذا أعظم امتداد اجتماعي وذلك من خلال بيعة أهل العراق له ورفضهم البيعة ليزيد، فكان الحسين عليه السلام بذلك قد أسسّ أساساً للثورة، وأوضح طريق النهضة.

* * *

خطبة الحسين عليه السلام:

وقبل خروجه عليه السلام من مكة إلى العراق قام خطيباً فقال:

«الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله.

خُطّ الموت على ولد آدم مخَطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخُيِّر لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلا فيملئن مِنّي أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت...

ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى».[1]

وسامته يركب إحدى اثنتين	وقد صرّت الحرب أسنانها
فأما يُرى مذعنا أو تموت	نفسٌ أبى العزّ إذعانها

* * *

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم.

(٧)
سفر الحسين عليه السلام إلى العراق

أول خطوة في سفر الحسين عليه السلام كانت من المدينة إلى مكة المكرمة، وقد حاول الحسين عليه السلام في هذا السفر أن يقوم بأمرين:

١ _ أن يستفيد من فرصة وجود المسلمين في الحج فيعلن لهم عن عدم شرعية حكومة يزيد وعدم جواز بيعته.

٢ _ تهيئة الجو الإسلامي العام لرفض البيعة، وذلك من خلال مجموعة الكتب التي كتبها لعدد كبير من الزعماء والمشايخ ورؤساء الأجناد في البصرة.

* * *

أمّا في الأمر الأوّل:

فقد كان الحسين عليه السلام يتحرك للثورة بشكل معلن، ويجتمع إليه الناس في بيت الله الحرام ويحدثهم، بل هو قد خطبهم في مجمع عام قائلاً: «خطّ الموت على ولد آدم...» وقد تقدمت الخطبة، كما نلاحظ أن الحسين عليه السلام في تحركه من المدينة الى مكة كان يسير في الطريق العام، وقد أشير عليه بأن يتنكب الطريق فلم يوافق عليه السلام قائلاً:

«لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاضٍ».

أما على المستوى الثاني:

فقد كتب الحسين عليه السلام نسخة واحدة إلى رؤساء الأخماس[1] بالبصرة قائلاً:

«أمّا بعد فإن الله اصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله من خلقه...إلى أن يقول: وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه، فإن السّنة قد أميتت والبدعة قد أحييت، فإن تسمعوا قولي أهدكم إلى سبيل الرشاد...».[2]

---

(١) الأخماس جمع خميس بمعنى الجيش.

(٢) نفس المهموم للقمي، ومقتل الحسين للمقرّم.

كمـا أن اخبـار الحسـين عليه السلام وصـلت إلـى الكوفـة فـاجتمع زعماؤهـا وكتبوا للحسين عليه السلام يطلبون منه القدوم.

ملاحظة:

يـروي المـؤرخ ابـن كثيـر أن الحسـين عليه السلام كـان لا يمـر بمـاء مـن ميـاه العرب إلا اتبعوه.

كمـا يـروي الطبـري أن الحسـين عليه السلام التقـى فـي منطقـة يقـال لهـا (التنعـيم) بركـبٍ وجمـال عليهـا حلـلٌ أرسـلها إلـى يزيـد بـن معاويـة واليـه علـى اليمن فأخـذها الحسين عليه السلام وقال لأصحاب الأبل:

«مـن أحـبّ مـنكم أن ينصـرف معنـا إلـى العـراق أوفينـا كـراءه وأحسـنّا صحبته، ومـن أحـب المفارقـة أعطينـاه مـن الكـراء علـى مـا قطـع مـن الأرض، يقـول الطبري: ففارقه بعضهم ومضى من أحب صحبته».

إذن فالحسـين عليه السلام كـان يخطـط لتكـوين جـو عـام باتجـاه الثـورة، ولهـذا كان قد كتب لدى خروجه من المدينه في وصيته:

«إنـي لـم أخـرج أشـراً ولا بطـراً ولا ظالمـا، وإنمـا خرجـت لطلـب الاصـلاح في أمّة جدي صلى الله عليه وآله.

أريـد أن آمـر بـالمعروف وأنهـى عـن المنكـر وأسـير بسـيرة جـدي وأبـي علي بـن أبـي طالـب، فمـن قبلنـي بقبـول الحـق فـالله أولـى بـالحق، ومـن ردّ علـيّ هـذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين».

لـم أدر أيـن رجـال المسـلمين مضـوا وكيـف صـار يزيـد بيـنهم ملكـا
قـد أصـبح الـدين منـه يشـتكي سـقماً ومـا إلـى أحـد غيـر الحسـين شـكا
فمـا رأى السـبط للـدين الحنيـف شـفا إلا إذا دمـه فـي كـربلا سُـفِكا

* * *

(٨)
لقاءات الحسين عليه السلام في الطريق

التقاء الحسين عليه السلام بزهير بن القين:

روى المؤرخون أن الحسين عليه السلام في طريقه إلى العراق لمّا نزل في (زرود) نزل بالقرب منه زهير بن القين البجلي، وكان يكره النزول مع الحسين وغير مشايع له ولكن جمع بينهما الماء. وبينا كان زهير وجماعته على طعام صنع لهم إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام يدعو زهيراً إلى أبي عبد الله عليه السلام، فتوقف زهير عن الاجابة غير أن امرأته (دلهم بنت عمرو) حثته على المسير إليه وسماع كلامه.

يروي القماري يقول: «كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسائره في منزل، فإذا سار الحسين عليه السلام تخلّف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدّم زهير حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بُداً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين عليه السلام في جانب، ونزلنا في جانب فبينا نحن جلوس نتغذى من طعام إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلّم ثم دخل فقال: يا زهير بن القين إن أبا عبد الله الحسين بن علي عليه السلام بعثني إليك لتأتيه.

قال: فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤسنا الطير.

فقالت له إمراته: أيبعث إليك ابن رسول الله عليه السلام ثم لا تأتيه، سبحان الله لو أتيته فسمعت من كلامه ثم انصرفت.[1]

فقام زهير وأتى الحسين عليه السلام، فما أسرع أن عاد مستبشراً قد أسفر وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فَقُدِّم وَحُمل إلى الحسين عليه السلام، ثم قال لامرأته:

إلحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسببي الاّ خيراً، وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي وأقيه بروحي، ثم أعطاها مالها وسلمّها إلى بعض بني

---

(١) نفس المهموم.

عمّها ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودعته وقالت: كان الله عوناً ومعيناً خارَ الله لك أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام.

يروي الطبري: أن زهيراً قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد، إني سأحدثكم حديثاً: لما فتحنا بلنجر (وهي من بلاد الترك غزاها المسلمون سنة ٢٢ للهجرة) وفتح الله علينا وأصبنا غنائم، قال لنا سلمان الباهلي (وفي روايات أخرى سلمان الفارسي): أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغانم؟ فقلنا: نعم.

قال: إذا أدركتم سيد شباب آل محمّد صلى الله عليه وآله فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم.

ثم قال زهير: أمّا أنا فإني أستودعكم الله.

نعم، لقد جاهد زهير بين يدي الحسين عليه السلام يوم العاشر من المحرم.

يروي المؤرخون أنه لما تقدمت خيل ابن سعد نحو الحسين عليه السلام خرج إليهم زهير بن القين فخطبهم ووعظهم _ وكانت تلك هي عادة الأنصار _ حتى قال زهير فيما قال:

عباد الله إن ولد فاطمة أحق بالودّ والنصر من ابن سميّة، فرماه الشمر بسهم، فقال زهير: يابن البّوال على عقبيه ما إياك أخاطب إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين...

واستمرت المشاجرة بينهما، فناداه رجل من أصحابه: إن أبا عبد الله يقول لك: (أقبل فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قومه وأبلغ في الدعاء فلقد نصحت هؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ).

وأيضاً لمّا قتل زهير وقف الحسين عليه السلام عند رأسه وقال: (لا يُبعِدنّك الله يا زهير، ولَعَن قاتليك).

نعم هكذا كان الحسين عليه السلام كلّما سقط أحد أصحابه وقف عند رأسه حتى تخرج روحه.

بنفسي أنت يا أبا عبد الله، أما أنت فلم يكن عندك إلا العقيلة زينب منادية «أخي حسين، ثمرة فؤادي حسين، نور عيني حسين. إن كنت حياً فأدركنا وإن كنت ميّتاً فأمرنا وأمرُك إلى الله».(١)

* * *

(٩)
الحسين عليه السلام في الطريق

لقاؤه مع عبيد الله بن الحُر:

كان الحسين عليه السلام في طريقه إلى الكوفة يستطلع الأخبار.

في منطقة يقال لها (زرود) أُخبر بمقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة.

وفي منطقة يقال لها (زباله) أُخبر بمقتل قيس بن مسهر الصيداوي، وكان الحسين عليه السلام قد أرسله بكتاب لأهل الكوفة يطلب منه انتظار قدومه ويخبرهم عن حركته من مكة.

وفي منطقة يقال لها الشقوق التقى الحسين برجل يقال أنه (الفرزدق) فسأله عن أهل العراق فأخبره أنهم مجتمعون عليه، فقال عليه السلام إن الأمر لله يفعل ما يشاء، ثم أنشد هذه الأبيات:

فإن تكن الدنيا تُعَدُّ نفيسة ... فدار ثواب الله أعلا وأنبل

ثم إن الحسين عليه السلام في طريقه نزل (قصر بني مقاتل) فرأى فسطاطاً مضروباً ورمحاً مركوزة وفرساً واقفاً، فسأل عنه فقيل: هو لعبيد الله بن الحرُ الجعفي.(٢)

---

(١) ربّما لقلة تتبعنا لم نعثر على مصدر هذه الرواية المتناقلة بين أهل المنبر.

(٢) هو رجل عثماني الهوى والعقيدة، وكان ويعد من شجعان العرب وفرسانها، وكان في وقعة صفين في جيش معاوية، ولما قتل أمير المؤمنين عليه السلام انتقل إلى الكوفة وكان بها إلى أن حضرت مقدمات قدوم الحسين عليه السلام، فخرج منها متعمداً لئلا يشهد قتل الحسين من ناحية ولا نصرته من ناحية.

فأرسل إليه الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق الجعفي، فسأله عبيد الله عمّا وراءه.

فقال: «هدية إليك وكرامة إن قبلتها، هذا الحسين يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أُجرت وإن قُتلت استشهدت.

فقال ابن الحر: والله ما خرجت من الكوفة إلا لكثرة ما رأيته خارجاً لمحاربته وخذلان شيعته، فعلمت أنه مقتول ولا أقدر على نصره ولست أحب أن يراني وأراه.

فلما نقل الحجاج كلامه إلى الحسين عليه السلام قام عليه السلام ومشى إليه في جماعة من أهل بيته وصحبه، فدخل عليه الفسطاط فوسّع له عن صدر المجلس، يقول ابن الحر: ما رأيت أحداً قط أحسن من الحسين ولا أملأ للعين منه، ولا رققت على أحدٍ رقّتي عليه حين رأيته يمشي والصبيان حوله.

ولما استقر المجلس بأبي عبد الله حمد الله وأثنى عليه وقال:

يابن الحر إن أهل مصركم كتبوا إليّ أنهم مجتمعون على نصرتي وسألوني القدوم عليهم وليس الأمر على مازعموا، وإن عليك ذنوباً كثيرة فهل لك من توبة تمحي بها ذنوبك؟

قال: ما هي يابن رسول الله؟

فقال: تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه.

فقال ابن الحر: والله إني لأعلم أن من شايعك كان السعيد في الآخرة.

ولكن ما عسى أن أغني عنك ولم أخلّف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطة، فإنّ نفسي لا تسمح بالموت، ولكن فرسي هذه والله ما طلبت عليها شيئاً إلا لحقته ولا طلبني أحد وأنا عليها إلا سبقته فخذها فهي لك.

قال الحسين عليه السلام: «أما إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا في فرسك ولا فيك

وما كنت متخذ الضلين عضداً، وإني أنصحك أن لا تسمع صراخنا ولا تشهد وقعتنا فافعل، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلا أكبّه الله في نار جهنم».

* * *

نعم، هذا الرجل خذل الحسين عليه السلام ولم ينصره، فماذا كانت خاتمة أمره؟

يروي الطبري عن أبي مخنف أن ابن زياد بعد قتل الحسين عليه السلام تفقد أشراف أهل الكوفة فلم يَرَ عبيد الله بن الحُر، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه.

«فقال: أين كنت يا ابن الحر؟

قال: كنت مريضاً.

قال: مريض القلب أو مريض البدن؟

قال: أما قلبي فلم يمرض، وأما بدني فقد منّ الله عليّ بالعافية، فقال له ابن زياد: كذبت ولكنك كنت مع عدّونا.

ثم إن ابن زياد غفل عنه، فخرج ابن الحُر فقعد على فرسه، فقال ابن زياد: أين ابن الحر؟ قالوا: خرج الساعة، فبعث إليه الشرطة، فقالوا: أجب الأمير، فدفع فرسه ثم قال:

أبلغوه أني لا آتيه والله طائعاً أبداً، وواصل فراره حتى وصل كربلاء فألقى بنفسه على قبر الحسين عليه السلام وأنشأ يقول:

فيالكِ حسرة مادمت حياً ... تردد بين صدري والتراقي
حسينٌ حين يطلبُ نَصر مثلي ... على أهل الضلالة والنفاق
ولو أني أواسيه بنفسي ... لنلتُ كرامة يوم التلاق
فلو فلق التلهف قلب حيٍّ ... لهمّ اليوم قلبي بانفلاق
لقد فاز الأولى نصروا حسيناً ... وخاب الآخرون ذوي النفاق

وكان خاتمة أمره أن عبد الملك بن مروان أرسله في جيش لحرب مصعب بن الزبير، فلما أُثخن بالجراح ركب سفينة ليعبر الفرات فغرق فيه ومات غريقاً.

نعم كان الحسين عليه السلام يطلب النصرة من كل من يلتقي به، وحتى في يوم العاشر من المحرم كان يطلب النصرة بعد أن قلّ ناصره قائلاً: «ألا هل من ناصر...».

وقف مخاطباً أصحابه وهم صرعى:

«مالي أناديكم فلا تسمعون وأدعوكم فلا تجيبون، ألستم طلّقتم حرائركم لأجلي...».[1]

* * *

(١٠)

التقاء الحسين عليه السلام بالحر الرياحي

لما نزل الحسين عليه السلام في منطقة يقال لها (شراف)، أمر عند السحر فتيانه أن يستقوا من الماء فيكثروا، وفي نصف النهار سمع رجلاً من أصحابه يكبر، فقال الحسين عليه السلام: لِمَ كبّرت؟ قال: رأيت النخل.

فقال من معه: ما رأينا في هذا المكان نخلاً، وإنما هي أسنّة الرماح وآذان الخيل، فقال الحسين عليه السلام: وأنا أراه ذلك، وكانت الحقيقة هي ذلك أيضاً، فالقادمون هم الحرّ الرياحي وجنوده.

ثم إن الحسين عليه السلام لجأ إلى جبل يقال له ذو حسم، فلما وصل إليه الحّر في ألف فارس ـ وكان ابن زياد قد بعثه ليحبس الحسين عليه السلام أينما يجده، أو يقدم به الكوفة ـ وكان العطش قد أصابهم، فلما رأى سيد الشهداء ما بالقوم من عطش أمر فتيانه بسقيهم وخيولهم جميعاً فسقوهم، ويذكر المؤرخون أن (علي بن الطعان) وهو من جنود الحر جاء آخرهم وقد أضرّ به العطش، فقال له الحسين عليه السلام: أَنِخِ الراوية ـ وهي الجمل بلغة الحجاز ـ فلم يفهم مراده، فقال له: أنخ الجمل، ولما أراد أن يشرب جعل الماء يسيل من

---

(١) نقلنا النص كاملاً في الخطبة رقم ١٧ فراجع.

السقاء فقال له: إخنث السقاء فلم يدر ما يصنع لشدّة العطش، فقام عليه السلام بنفسه وعطف السقاء حتى ارتوى وسقى فرسه.

ثم أن الحسين عليه السلام استقبل القوم فخطبهم وذكّرهم بالكتب التي أرسلوها فسكتوا، ولمّا حلّ وقت الصلاة قال الحسين عليه السلام للحر: أتريد أن تصلي بأصحابك؟ قال: لا، بل نصلي بصلاتك، فصلى بهم الحسين عليه السلام، ثم خطبهم بعد الصلاة، وذكرّهم بالكتب، فقال الحر: ما أدري ما هذه الكتب، فأمر الحسين عقبة بن سمعان فأخرج خرجين مملوّين كتباً.

فقال الحر: إني لست من هؤلاء، وإني أُمرت أن لا أفارقك إذا لقيتك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد.

فقال الحسين عليه السلام: الموت أدنى لك من ذلك، وأمر أصحابه بالركوب، فحال بينهم الحر وبين الانصراف، فقال له الحسين: ثكلتك أمك ما تريد؟

قال الحر: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل هذا الحال ما تركت ذكر أمّه بالثكل كائناً من كان، والله مالي إلى ذكر أمّك من سبيل إلاّ بأحسن ما نقدر عليه.

هذا الكلام والأدب من الحر يدل على حسن سريرته، وأن ذاته وفطرته ما تزال يقظةً وسليمة، وهذه اليقظة والسلامة هي التي أوصلته إلى ما وصل إليه فالتحق بالحسين عليه السلام.

ثم إن الحر قال للحسين عليه السلام:

خُذ طريقاً نصفاً لا يدخلك الكوفة ولا يردّك إلى المدينة، ثم قال للحسين: إني أُذكّرُك الله في نفسك. فقال الحسين: أفبالموت تخوفني...وسأقول ما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً

فلما سمع الحر كلامه تنحى عنه، فكان الحسين عليه السلام يسير بأصحابه في ناحيته ويسير الحر وأصحابه في ناحيةٍ أخرى حتى وصل كربلاء.

نعم، لقد شهد الحسين عليه السلام بطهارة الحر وسلامته حينما جلس عند رأسه يمسح الدم عنه قائلاً: أنت الحر كما سمّتك أمّك، وأنت الحر في الدنيا والآخرة.

وقيل: أن الحسين عليه السلام أنشد هذه الأبيات:

لنعم الحر حرّ بني رياح　　　صبور عند مشتبك الرماح

ونعم الحرّ إذ فادى حسيناً　　　وجاد بنفسه عند الصباح

* * *

(١١)

الحر الرياحي

تعرفون أن الحر الرياحي هو الذي قطع الطريق على الحسين عليه السلام، وكان مع الحر يومئذ ألف فارس.

ذنب عارض و ليس خبثاً ذاتياً:

إلا أنّ الشهيد دستغيب _ رضوان الله عليه _ يذكر في كتابه (النهضة الحسينية) أن هناك فرقاً بين الذنب العارض وبين الخبث الذاتي.

ولم يكن لدى الحر خبث ذاتي وإنما عرض عليه الذنب لا أكثر.

* * *

والحقيقة أن هناك عدّة مواقف للحر تدلل على صحة هذا الأمر، هذا مضافاً إلى أن الحر قد استشهد أخيراً بين يدي الحسين عليه السلام والتحق بركب أصحابه.

١ _ من تلك الدلائل على صفاء سريرة الحر، وضميره الحي، وسلامة ذاته، المشاجرة التي جرت بينه وبين الحسين عليه السلام، وذلك أن الحسين عليه السلام

لمـا أراد السـير فـي الطريـق اعترضـه الحـر وجيشـه وحـال بينـه وبـين الانصـراف، فقال الحسين عليه السلام للحر: ثكلتك أمك، ما تريد؟

فقـال لـه الحـر: أمـا لـو غيـرك مـن العـرب يقولهـا لـي وهـو علـى مثـل الحـال التـي أنـت عليهـا لمـا تركـت ذكـر أمـه بالثكـل كائنـاً مـن كـان، ولكـن والله مـا إلـى ذكر أمك من سبيل إلاّ بأحسن ما يُقدر عليه.

هذا موقف.

٢ _ وموقف آخر له عندما حّل وقت الصلاة، أمر الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق أن يؤذّن، فلما أذّن وأقام قال عليه السلام للحّر: أتريد أن تصلي بأصحابك؟

قال: لا، بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك، فصلّى بهم الحسين جميعاً.

ومثل ذلك أيضا في صلاة العصر.

هـذا كلـه يـدلل علـى أدب الحـر، واعتقـاده وثقتـه بالحسـين عليه السلام وتواضـعه أمامه رغم أنه مبعوث ليقطع الطريق عليه.

٣ _ والموقف الثالث للحر في يوم عاشوراء.

ذلك أن الحر رأى القوم قد صمموا على حرب الحسين عليه السلام وسمع صيحة الحسين «أما من مغيث يغيثنا، أما من ذاب يذبّ عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله».

قال لعمر بن سعد: أي عمر أمقاتل أنت هذا الرجل؟

قال: أي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي.

قال: أفما لكم فيما عرضه عليكم رضىً؟

قال عمر: أما لو كان الأمر إليّ لفعلت، ولكن أميرك قد أبى.

فأقبل الحر حتى وقف من الناس موقفاً ومعه رجل من قومه يقال له قرة بن قيس فقال: يا قرة هل سقيت فرسك اليوم؟

قال: لا.

قال: فما تريد أن تسقيه؟

قال قرة: فظننت والله أنه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال فكره أن أراه حين يصنع ذلك.

فقلت له: لم أسقه وأنا منطلق فأسقيه.

فاعتزل ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين عليه السلام، فأخذ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً، فقال له المهاجر بن أوس: ما تريد أن تصنع يا بن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فلم يجبه وأخذته الرعدة، فقال له المهاجر: إن أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل هذا، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة؟ ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟ فقال له الحر: إني والله أخيرّ نفسي بين الجنة والنار، فوالله لا أختار على الجنة شيئاً، لو قطّعت وحرّقت.

ثم ضرب فرسه قاصداً إلى الحسين عليه السلام ويده على رأسه وهو يقول:

اللهم إليك أنِبت فتب عليّ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك، ولما وصل إلى الحسين عليه السلام قلب ترسه وسلّم على الحسين عليه السلام.

ثم قال للحسين عليه السلام: يا بن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجعجعت بك في هذا المكان، وما ظننت أن القوم يبلغون منك هذه المنزلة، والله لو علمت أنهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت منك الذي ركبت، وإني تائب إلى الله مما صنعت فترى لي ذلك توبة.

فقال له الحسين عليه السلام: نعم يتوب الله عليك فانزل.

فقال: فأنا لك فارس خير من راجل، أُقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول ما يصير آخر أمري.

فقال له الحسين عليه السلام: فاصنع رحمك الله ما بدا لك.

وروي أنه قال للحسين عليه السلام: لما وجهني عبيد الله خرجت من القصر

فنوديت من خلفي أبشر يا حر بخير، فالتفتُّ فلم أر أحداً، فقلت: والله ما هذه بشارة، وأنا أسير إلى الحسين وما أحدث نفسي باتباعه.

فقال عليه السلام: لقد أصبت خيراً.

* * *

روى السيد نعمة الله الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية):

«إن الشاه إسماعيل الصفوي لما ملك بغداد أتى مشهد الحسين عليه السلام، وسمع من بعض الناس الطعن على الحر، أتى إلى قبره وأمر بنبشه فنبشوه فرأوه نائماً كهيئته لما قتل ورأوا على رأسه عصابة الحسين عليه السلام شدّ به رأس الحر لما أصيب في تلك الواقعة ودفن على تلك الهيئة، فلما حلّوها جرى الدم من رأسه حتى امتلأ منه القبر، فلما شدوا عليه تلك العصابة انقطع الدم، فلما حلوها جرى الدم، وكلّما أرادو أن يعالجوا قطع الدم بغير تلك العصابةلم يمكنهم، فتبين لهم حسن حاله فأمر فبني على قبره».[1]

* * *

ولما قتل الحر أتاه الحسين عليه السلام ودمه يشخب فقال: بخٍ بخٍ يا حر، أنت حرّ كما سُميت في الدنيا والآخرة، ثم أنشأ عليه السلام يقول:

لنعم الحر حر بني رياح	صبور عند مختلف الرماح
ونعم الحر إذ نادى حسيناً	فجاد بنفسه عند الصباح

* * *

(١٢)
لقاء الحسين عليه السلام بالطرماح ونزول كربلاء

لماّ وصل الحسين عليه السلام منطقة يقال لها (الهجانات) وافاه أربعة نفر قادمين من الكوفة، فسألهم الحسين عليه السلام عن حالها فقالوا:

---

(١) نفس المهموم: ٢٧٤.

«الأشراف عظمت رشوتهم، وقلوب سائر الناس معك والسيوف عليك».

وكان من جملة هؤلاء النفر الأربعة الطرمّاح. ويروي المؤرخون أن الطرمّاح لمّا شاهد ركب الحسين عليه السلام أنشد هذه الأبيات:

يا ناقتي لا تذعري من زجري	وَشَمّري قَبلَ طُلوع الفَجر
بخير ركبانٍ وخَير سَفر	الماجد الحرّ رحيب الصدر
أتى به اللهُ لخير أمر	ثمّت أبقاه بقاء الدهر

* * *

إسترجاع الحسين عليه السلام:

ثم أن الحسين عليه السلام استمر بالمسير، وبينا هم يسيرون إذ سُمع الحسين عليه السلام يقول: «إنّا لله وانّا إليه راجعون».

فسأله علي الأكبر عن ذلك فقال: «إني خفقت برأسي إخفاقة فَعنّ لي فارس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نُعيت إلينا، فقال علي الأكبر:

لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟

قال: بلى والذي إليه مرجع العباد.

فقال: يا أبتِ إذن لا نبالي أن نموت محقين.

* * *

نينوى:

لم يزل الحسين عليه السلام يتياسر إلى أن انتهى إلى نينوى، وهنا يُروى أن جواد الحسين عليه السلام وقف وامتنع عن السير، فسأل الحسين عن الأرض فقيل: تسمى الطف.

فقال: ألها اسمٌ آخر؟

قالوا: تعرف كربلاء.

فـدمعت عينـاه وقـال: ههنـا محـطُّ ركابنـا، وسـفكُ دمائنـا، ومحـل قبورنـا، بهذا حدّثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

الله أي دم فـــي كـــربلا سُـــفكا	لم يجر في الأرض حتى أوقف الفلكا
وأيّ خيـلٍ ضـلالٍ بـالطفوف عـدت	علـى حـريم رسـول الله فانتهكـا

* * *

(١٣)

اجتماع العساكر، وبدء المحاصرة، والتأهب للقتال

كان نزول الحسين عليه السلام كربلاء في الثاني من محرم الحرام، ولما نزل الحسين كربلاء نزل الحرّ إلى جنبه، وكتب إلى ابن زياد يخبره بنزول الحسين كربلاء.

* * *

وفـي اليـوم الثالـث مـن محـرم الحـرام قـدم عمـر بـن سـعد ومعـه أربعـة آلاف فـارس، وذلـك أن عبيـد الله بـن زيـاد كـان قـد بعثـه علـى أربعـة آلاف فـارس لقتـال الـديلم، فلمـا كـان مـن أمـر الحسـين عليه السلام دعـا عمـر بـن سـعد وقـال لـه: سـر إلـى الحسـين فـإذا فرغنـا سـرت إلـى عملـك،[1] وبعـد حـديث جـرى بينهمـا توجـه ابـن سعد بذلك الجيش لحرب الحسين.

* * *

ثـم إن ابـن زيـاد جمـع النـاس فـي جـامع الكوفـة وصـعد المنبـر ثـم قـال: أيهـا النـاس إنكـم بلـوتم آل أبـي سـفيان فوجـدتموهم كمـا تحبـون، وهـذا أميـر المـؤمنين يزيـد قـد عرفتمـوه حسـن السـيرة ومحمـود الطريقـة _ إلـى أن قـال _ وقـد زادكـم فـي أرزاقكـم مائـة مائـة، وأمرنـي أن أوفرهـا علـيكم وأخـرجكم إلـى حرب عدوه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا.

(١) وكانت هنا محادثة بينه وبين ابن سعد نترك ذكرها إلى مجال آخر.

ثم نزل عن المنبر ووفر العطاء للناس وأمرهم أن يخرجو لحرب الحسين عليه السلام ويكونوا عوناً لابن سعد على حربه.

فلم يزل يرسل العساكر حتى اجتمعت عند عمر بن سعد إلى ست ليال خلون من المحرم عشرون ألف فارس.

وقد استخدم ابن زياد الترغيب والترهيب في تحشيد العساكر لحرب الحسين، حتى روى العلاّمة المجلسي في البحار: أن شامياً كان قد ورد الكوفة لمهمة، فأُلقي القبض عليه فضربت عنقه لتخلفه عن الخروج لحرب الحسين،فلما رأى الناس ذلك خرجوا جميعاً.

* * *

وقد روى في البحار[1] أن ابن زياد لم يزل يرسل العساكر حتى تكامل عند ابن سعد ثلاثون ألف فارس وراجل.

ثم كتب إليه ابن زياد:

«إني لم أجعل لك علة في كثرة الخيل والرجال، فانظر لا أصبح ولا أمسي إلاّ وخبرك عندي غدوة وعشية».

وكتب إليه أيضا:

«اما بعد فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فلا يذوقوا منه قطرة».

فبعث عمر بن سعد في الوقت عمر بن الحجاج في خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء.

* * *

إذن بدأ الحصار على الحسين عليه السلام وأصحابه في اليوم السابع من المحرم.

* * *

وأضر العطش بالحسين عليه السلام وأصحابه، فأخذ الحسين عليه السلام فأساً

(١) البحار/ المجلسي: ٤٤/ ٣٨٦.

وجاء إلى وراء خيمة النساء فخطا في الأرض تسع عشرة خطوة نحو القبلة ثم حفر هناك فنبعت له عين من الماء العذب، فشرب الحسين عليه السلام وشرب الناس بأجمعهم وملاؤوا أسقيتهم ثم غارت العين فلم يُرَ لها أثر.

* * *

فلما بلغ ذلك ابن زياد كتب إلى ابن سعد:

«بلغني أن الحسين عليه السلام يحفر الآبار ويصيب الماء فيشرب هو وأصحابه، فانظر إذا ورد عليك كتابي فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت، وضيّق عليهم ولا تدعهم يذوقوا الماء».

فعندها ضيق عمر بن سعد عليهم غاية التضييق.

* * *

إذن فقد اشتد الحصار على الحسين عليه السلام وأصحابه في اليوم الثامن.

وهنا يروي المؤرخون أنه لما اشتد العطش بالحسين وأصحابه دعا العباس في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، استطاعوا أن يقتحموا العساكر ويصلوا إلى المشرعة، ويأتوا بالماء للحسين وأهل بيته.

* * *

ومازال ابن سعد يماطل في قتال الحسين عليه السلام إلى أن وصله كتاب ابن زياد يستحثه على القتال وأن لا يمهل الحسين، ويقول له: «إن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخلِّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فإنّا قد أمرناه بأمرنا».

* * *

في اليوم التاسع إذن اشتد الحصار على الحسين عليه السلام، كما ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه بكربلا».

* * *

فلما وصل كتاب ابن زياد إلى ابن سعد وجيشه نادى عمر بن سعد

أصحابه بالركوب، فاقتربوا نحو مخيم الحسين عليه السلام والحسين جالس أمام بيته محتبٍ بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت اخته زينب الضجة، فدنت من أخيها فقالت: «يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت»!؟

فرفع الحسين عليه السلام رأسه فقال: «إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله الساعة في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا، فلطمت اخته وجهها ونادت بالويل، فقال لها الحسين عليه السلام: ليس لك الويل يا أخيّه اسكني رحمك الله...».

* * *

(١٤)
اجتماع العساكر وما جرى قبل اليوم العاشر

نزل الحسين كربلاء في اليوم الثاني من المحرم.

ونزلها عمر بن سعد في أربعة آلاف فارس وراجل يوم الثالث من المحرم، وتكاملت العساكر ثلاثين ألفاً في اليوم السادس من المحرم، وكانت أول معركة بين جيش الحسين وجيش ابن سعد في اليوم السابع من المحرم، وهي الحملة الأولى التي بعثها الحسين عليه السلام بقيادة العباس لجلب الماء من المشرعة.

إذن ما الذي جرى خلال هذه الأيام التي سبقت المعركة؟ وما الذي جرى إلى اليوم العاشر؟

* * *

المؤرخون يُجمعون على أن ابن سعد لم يكن مندفعاً في البداية لحرب الحسين، بل بقي إلى فترة متأخرة يخيّر نفسه بين الدنيا المزعومة التي وعده بها ابن زياد _ حيث كان قد وعده بملك الري ولكن بها يخسر الآخرة لأنه يعلم علم اليقين أن الحق مع الحسين، والآخرة مع الحسين عليه السلام.

المؤرخون يذكرون أن عمر بن سعد حين طلب منه ابن زياد الخروج

لحرب الحسين طلب المهلة حتى يفكر، واستشار أصحابه في الأمر وكلهم نهوه عن الخروج لحرب الحسين، وبات ليلته متفكراً وسُمع وهو يقول:

أأترك ملك الري والريُّ منيتي	أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها	حجاب وملك الري قرة عيني
يقولون إن الله خالق جنةٍ	ونار وتعذيب وغلّ يدين
فإن صدقوا فيما يقولون إنني	أتوب إلى الرحمن من سنتين

وأخيراً غلبه الهوى وحب الدنيا، وآثر الدنيا الفانية الموهومة على الآخرة، وتجهز لحرب الحسين عليه السلام.

ولكنه على كل الأحوال كان يفكر بطريقة وأخرى أن يحصل على ملك الري من ناحية وأن يتخلص من قتل الحسين من ناحية ثانية.

ولهذا لما نزل ابن سعد نينوى أرسل إلى الحسين قرة بن قيس الحنظلي يسأله عن السبب في قدومه، فأجابه الحسين عليه السلام جواباً يلقي فيه الحجة عليهم ويسحب من أيديهم مبررات قتله بادعاء أنه خارجي، فقد أجابه الحسين عليه السلام: «كتب إليّ أهل مصركم هذا أن أقدم، فأما إذا كرهتموني فأنا أنصرف عنكم».

وأسرع ابن سعد فكتب كتاباً إلى ابن زياد بهذا الموضوع قائلاً: أرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله.

وخلال هذه الأيام كان ابن سعد يحاول من ناحية أن يتخلص من حرب الحسين، ويحاول الحسين من ناحية أن يقنع ابن سعد وقواته بالإنسحاب وعدم مضايقته، يذكر المؤرخون أن أحد أصحاب الحسين عليه السلام واسمه يزيد بن حصين الهمداني قال للحسين عليه السلام: إئذن لي يابن رسول الله لآتي ابن سعد فأكلمه في أمر الماء عساه أن يرتدع، فأذن له الحسين عليه السلام.

فأقبل الهمداني إلى ابن سعد وجرى بينهما حديث، إلاّ أن ابن سعد قال:

والله يا أخا همدان إني أعلم حرمة أذاهم، يا أخا همدان ما أجد نفسي تجيبني إلى ترك الري لغيري، فرجع الهمداني يائساً.

ويروي أبو مخنف أن الحسين عليه السلام بعث إلى عمر بن سعد أن إلقين الليل بين عسكري وعسكرك، فخرج الحسين في عشرين فارساً وخرج ابن سعد في عشرين فارساً، ثم انفردا بينهما وتكلما فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع، ولا يعلم أحد ما هو الحديث الذي جرى بينهما، فالبعض يظن أن الحسين عليه السلام قد عرض عليه أحد ثلاث: أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه، أو يسير إلى ثغر من ثغور المسلمين، أو يأتي يزيد فيبايعه.

إلا إن بعض الرواة وكان قد شهد حركة الحسين عليه السلام من أولها إلى آخرها يقول:

«لا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال:

دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس.

وعلى كل حال فقد انقضت الأيام الاولى بمثل هذا الحال من التفاوض.[1]

* * *

قلنا إن ابن سعد كتب إلى عبيد الله بن زياد: «أما بعد، فإن الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى...».

وأوشك هذا الموقف من الحسين عليه السلام أن يغير مجرى الأمور، وأن يثني ابن زياد نفسه عن مقاتلة الحسين عليه السلام فقد قال حين وصله كتاب ابن سعد: هذا كتاب ناصح لأميره، مشفق على قومه».

---

(١) ويجب أن نذكر هنا تحليلاً لكلمات الحسين عليه السلام وموقفه هذا.

إلا أن شمر بن ذي الجوشن أقنع ابن زياد بعدم التراجع عن حرب الحسين، وأخيراً كتب ابن زياد إلى عمر بن سعد كتاباً يستحثه فيه على حرب الحسين أو يستسلم.

* * *

بورود الكتاب الأخير إلى ابن سعد، ووصول شمر بن ذي الجوشن إلى كربلاء والتحاقه بمعسكر ابن سعد دخلت الأحوال في مجرى آخر، فقد تهيأ عمر بن سعد في اليوم التاسع من المحرم للهجوم على معسكر الحسين أو يستسلم.

* * *

واقتربت خيل ابن سعد من مخيم الحسين عليه السلام.

فقال له العباس: يا أخي قد أتاك القوم، فنهض الحسين عليه السلام ثم قال: يا عباس اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم وتقول لهم: مالكم وما بدا لكم وتسألهم عمّا جاءهم.

فأتاهم العباس في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس: ما بدا لكم وما تريدون؟

قالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم.

فرجع العباس بالخبر إلى الحسين عليه السلام _ بينما بقي حبيب وزهير يكلّمون القوم ويعظونهم _ فقال له الحسين عليه السلام:

إرجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عنّا العشية لعلنا نصلّي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار.

فمضى العباس إلى القوم، ورجع من عندهم ومعه رسول من قِبَل عمر بن سعد يقول: إنّا قد أجّلناكم إلى غدٍ، فإن استسلمتم سرحنا بكم إلى أميرنا عبيد الله بن زياد، وإن أبيتم فلسنا تاركيكم.

نعم، ليلة العاشر يالها من ليلة، ويالها من ساعات، ويالها من مناجاة، وفي هذه الليلة أجاز الحسين عليه السلام أصحابه بالرحيل عنه قائلاً:

«هذا الليل فاتخذوه جملاً، فإن القوم إنما يريدونني، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم، وأنتم في حلٍ وسعة».

ولكن أبت النفوس الأبيّة، والضمائر الحيّة، أن تتخلى عن نصرة الحسين عليه السلام ﴿رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.(١)

نعم هذه هي شهادة الحسين عليه السلام في حق أصحابه.

لهذا الشاعر يندب الحجّة بن الحسين عليه السلام بقوله:

هب أن جُندك معدود فجدّك قد   لاقى بسبعين جيشاً ماله عدد

* * *

(١٥)

مسلم بن عقيل

كُتُب أهل الكوفة:

بعد وفاة معاوية، وبعدما بلغ أهل الكوفة خبر الحسين عليه السلام ورفضه لبيعة يزيد بدأت كتبهم تتوارد على الحسين عليه السلام في دعوته للمجيء إليهم وأخذ البيعة منهم له.

كتبوا إليه أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق.

وكتبوا إليه أيضاً: «بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن عليّ عليه السلام من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أما بعد فحي هلا فإن الناس ينتظرونك لا رأي لهم في غيرك، فالعجل ثم العجل، والسلام عليك».

---

(١) الأحزاب: ٢٣.

وكتبوا إليه أيضاً «أما بعد فقد اخضّر الجناب، وأينعت الثمار، فإذا شئت فاقدم علينا فإنما تقدم على جُندٍ لك مُجنَّدة والسلام».[1]

فلما تواردت هذه الكتب على الحسين عليه السلام وقد كان من رأيه عليه السلام رفض البيعة ليزيد والنهوض بالمسلمين، ولما لم يكن مكان أفضل وأخصب للثورة من العراق لمعرفتهم به، ولأنهم من شيعة أبيه صمّم عليه السلام على المجيء إليهم.

رسول الحسين عليه السلام:

وقبل ذلك أرسل إليهم مسلم بن عقيل لأخذ البيعة منهم، واستعلام حالهم، وجمع كلمتهم، فكتب إليهم كتاباً جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملأ من المسلمين والمؤمنين...إني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم ورأيكم، فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأي ملأكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله».[2]

* * *

من هذا الكتاب نعرف:

أولاً: شخصية مسلم بن عقيل وموقعيته حيث يقول فيه الحسين عليه السلام:

«أخي، وابن عمي، وثقتي من أهل بيتي» وكفى بذلك شهادة في شخصية مسلم، على أن الحسين عليه السلام لو كان يجد غيره أولى منه بهذه المهمة لأرسله.

ثانياً: نعرف من هذا الكتاب المهمة التي بعث بها مسلم بن عقيل، وهي:

أوّلاً: استعلام الوضع والتأكد من بيعة أهل الكوفة وصدقهم.

---

(١) نفس المهموم: ٨٠ و٨١.

(٢) نفس المهموم: ٨٢.

وثانيـا: جمـع كلمـتهم، والاسـتعجال فـي اسـتغلال الفرصـة قبـل التفـرّق، وقبل أن تطرأ أحوال مستجدّة مانعة.

ومـن هنـا نعـرف أنـه لـم تكـن مهمـة مسـلم بـن عقيـل إعـلان الثـورة، بـل كانـت مهمتـه أخـذ البيعـة وتجميـع الطاقـات ولـمّ الشـمل حتـى قـدوم الحسـين، ولـذا فـإن الحسـين عليه السلام قـد كتـب لأهـل الكوفـة رسـالة أخـرى بعثهـا بيـد قـيس بـن مسهر الصيداوي يقول فيها:

«فـإذا قـدم علـيكم رسـولي فانكمشـوا فـي أمـركم وجـدّوا فـإني قـادم علـيكم في أيامي هذه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».[1]

* * *

لماذا أخفق مسلم عليه السلام؟

ومن هنا نعرف الجواب على السؤال التالي:

لماذا لـم ينهض مسلم بن عقيل بأعباء الثورة؟ ولماذا ترك الفرصة تمرّ حتى استطاع ابن زياد أن يستجمع قواه ويكبس هاني بن عروة ومسلم بن عقيل؟

الجواب على ذلك:

أولاً: إن مهمـة مسـلم بـن عقيـل المكلـف بهـا مـن قبـل الحسـين عليه السلام لـم تكن إعلان الثورة كما أوضحنا ذلك.

ثانياً: إن مسلم بن عقيل ــ رغم حدود المهمة التي بُعث من أجلها ــ لمّا رأى أن مرور الزمن ليس في صالح الثورة وأن ابن زياد يستفيد من فرصة عدم وصول الحسين عليه السلام في تجميع قواه وكبس دور الشيعة واعتقال رجالهم. اضطر لإعلان الثورة، ولم يمهل ابن زياد، ولا أعطاه الفرصة، فقد كانت حركة مسلم بن عقيل ناجحة للغاية لولا الخيانة العجيبة التي لا يبقى معها احتمال النصر على كل الأحوال وفي كل الظروف، ومن أجل أن تتوضح الفكرة أكثر نذكر:

---

(١) نفس المهموم: ١٧٧.

أن مسلم بن عقيل أعلن الثورة ـ بعد اعتقال هاني بن عروة ـ ونادى مناديه بشعار الثورة (يا منصور أمت) فاجتمع حوله أربعة آلاف مقاتل.

وقدِم بهم مسلم بن عقيل فأحاطوا بالقصر وكان فيه ابن زياد وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرطة وعشرون رجلاً من الأشراف والموالي، انظروا إذن: أربعة آلاف مقاتل يحيطون بخمسين رجلاً قد ملأهم الخوف والرعب...

المسألة إذن لا تحتاج إلى عناية كبيرة، وما أبسط أن يقتحم هؤلاء القصر فيأخذون ابن زياد ومن معه.

لكن الخيانة الغريبة هي التي أدت إلى اخفاق الثورة، والقائد مهما كان حكيماً وعظيماً وشجاعاً لا يستطيع أن يصنع شيئاً يُذكر قبال حالة عجيبة من التخاذل لدى أنصاره.

ومن هنا فإن مسلم بن عقيل قد أدّى مهمته أفضل أداء:

١ ـ استطاع أن يأخذ البيعة من ثمانية عشر ألف رجل.

٢ ـ ثم استطاع أن يحيط بالقصر بأضعاف أضعاف العدد المطلوب.

وماذا يستطيع أن يفعل غيره لو كان مكانه؟

لكن بدأت قصة الخيانة...:

فلما رأى ابن زياد أنه قد أُحيط به أمر بعض من معه أن يخرجوا إلى الناس فيخذّلوهم، وأمر الأشراف منهم أن يشرفوا على الناس من أعلى القصر فيُمنّوا أهل الطاعة منهم ويخوفوا أهل المعصية، فلما رأى الناس ذلك بدأوا يتخاذلون ويبتعدون عن مسلم بن عقيل، حتى أن المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول: انصرف، الناس يكفونك.

ويفعل الرجل مثل ذلك حتى لم يبق مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفراً.

صلى بهم، فلما فرغ من الصلاة لم يبق معه إلا عشرة، فلما خرج لم يكن معه أحد يدلّه على الطريق، فمضى وحيداً في أزقة الكوفة.

فيابن عقيل فدتك النفوس لعظم رزيتك الفادحة
لنبك لها بمذاب القلوب فما قدر أدمعنا المالحة

* * *

(١٦)

مسلم بن عقيل عليه السلام

كان خروج مسلم بن عقيل من مكة في النصف من شهر رمضان المبارك.

دخل الكوفة في الخامس من شوال.

* * *

المهمة: وقد كانت مهمته أخذ البيعة من الناس، وجمع كلمتهم، وارسال الخبر للحسين عليه السلام.

* * *

وبالفعل فقد نزل مسلم بن عقيل دار المختار الثقفي، وبعده دار هاني بن عروة، وأقبلت الشيعة تفد عليه بالبيعة حتى بايعه ثمانية عشر ألف.

كان الوالي على الكوفة من قِبَل الحكم الأموي النعمان بن بشير، وكان ضعيف الشخصية، فلما وصل خبر الكوفة وبيعتها للحسين عليه السلام استشار يزيد بن معاوية سرجون _ وهو مولى معاوية وكان نصرانياً _ فأشار على يزيد بأن يعيّن عبيد الله بن زياد على الكوفة ففعل.

* * *

وكان ابن زياد والياً على البصرة، فلما وصله كتاب يزيد بتعيينه على الكوفة استخلف أخاه عثمان بن زياد على البصرة وقدم هو إلى الكوفة.

* * *

خطة ابن زياد:

أما ابن زياد فقد كانت خطته لما دخل الكوفة:

أولاً: ترغيب الناس في الطاعة ليزيد.

ثانياً: ترهيبهم من الخروج على يزيد والبيعة لغيره.

ثالثاً: القاء القبض على رجالات الشيعة وكبارهم.

رابعاً: القاء القبض على مسلم بن عقيل.

خامساً: قطع الطريق على الحسين عليه السلام.

سادساً: تجهيز الشيعة لحربه.

* * *

لقد خطب الناس حين وصوله وقال في جملة ما قال:

«أما بعد فإن أمير المؤمنين _ يعني يزيد لعنه الله _ قد ولاّني مصركم وثغركم وفيئكم وأمرني بانصاف مظلومكم، وعطاء محرومكم، والاحسان إلى سامعكم، وبالشدة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبع فيكم أمره ومنفذ فيكم عهده، وأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البر، وسوطي وسيفي على من ترك أمري وخالف عهدي».[1]

ثم دعا الناس ليكتبوا له ويعرفوه بالمخالفين ليزيد وقال:

«أيّما عِرِّيف وُجد عنده في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره».

خطبة مسلم بن عقيل:

المرحلة الأولى: أما مسلم بن عقيل فقد كانت خطّته _ حسب المهمة التي بعثها به الحسين عليه السلام، في المرحلة الأولى أخذ البيعة من الناس، وجمع

---

(١) نفس المهموم: ٩٤.

كلمتهم، والكتابة إلى الحسين عليه السلام ثم انتظار قدومه، وبالفعل فقد أخذ البيعة من ثمانية عشر ألف رجل، وفي رواية أخرى من خمس وعشرين ألف رجل.

وكتب إلى الحسين عليه السلام حين رأى ذلك:

«أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فَعجِّل الاقبال حين يأتيك كتابي».[١]

ولم يكن من مهمة مسلم بن عقيل أن يبدأ بالثورة ويطرد ابن زياد قبل قدوم الحسين عليه السلام، خصوصاً وأن ابن زياد لا يستطيع أن يفعل شيئاً طالما كانت بيعة الناس للحسين عليه السلام ثابتة، كما لم يكن من المصلحة إعلان الثورة وقد تجر بعدئذ إلى الاشتباك مع جيوش يرسلها يزيد من الشام قبل مقدم الحسين عليه السلام.

المرحلة الثانية:

إلا أن مسلم بن عقيل لما رأى موقف ابن زياد، وكبسه دور الشيعة، ومحاولته القاء القبض على مسلم بن عقيل وسائر الشخصيات الشيعية لم يجد بداً من إعلان الثورة ومحاصرة ابن زياد ومحاولة القاء القبض عليه.

ومن هنا فقد دعا الناس وناداهم بشعار _ يا منصور أمت _ فاجتمع حول أربعة آلاف أحاطوا بالقصر.

إلا أن هؤلاء سرعان ما تخاذلوا عن مسلم بن عقيل بعدما دسَّ فيهم ابن زياد من يُخذِّلهم ويخوفهم قدوم جيش الشام، فصلى مسلم صلاة المغرب ومعه ثلاثون، فلما خرج من المسجد لم يكن معه أحد يدّله على الطريق.

عاد مسلم غريباً وحيداً في الكوفة...

هذه الغربة تذكرنا بغريب كربلاء الحسين عليه السلام...

فإنه أيضا لما قتل أصحابه وأهل بيته التفت يميناً وشمالاً وإذا ليس معه أحد، نادى:

«أما من مغيث يغيثنا؟».

---

(١) نفس المهموم: ١٧٧.

(١٧)

مسلم بن عقيل

القصة الكاملة لشهادته:

لما خرج مسلم بن عقيل من المسجد ولم ير معه أحداً يدلّه على الطريق نزل عن فرسه ومشى متلدداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب حتى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها طوعة ولها ولد اسمه بلال، وكان بلال قد خرج مع الناس وأُمُّه قائمة تنتظر، فسلم عليها ابن عقيل فردّت عليه.

فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماء.

فسقته وجلس، وأدخلت الإناء ثم خرجت، فقالت: يا عبد الله ألم تشرب؟

قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك.

فسكت، ثم أعادت مثل ذلك فسكت.

قالت له في الثالثة: سبحان الله يا عبد الله قم عافاك الله إلى أهلك فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحلّه لك.

فقام وقال: يا أمة الله مالي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك في أجر ومعروف ولعلي مكافئك بعد اليوم.

قالت: يا عبد الله وماذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل كذّبني هؤلاء القوم وغرُّوني وأخرجوني.

قالت: أنت مسلم.

قال: نعم.

قالت: ادخل.

فدخل بيتا في دارها غير البيت الذي تكون هي فيه وفرشت له وعرضت له العشاء فلم يتعشّ، ولم يكن بأسرع أن جاء ولدها فرآها تكثر الدخول في ذلك البيت، فقال لها: إن لك لشأناً في ذلك البيت وسألها فلم تخبره، فألحّ عليها فأخبرته واستكتمته وأخذت عليه الأيمان بذلك.

* * *

فلما أصبح الصباح غدا ابنها وأنهى بخبر مسلم بن عقيل إلى ابن زياد، فبعث ابن الأشعث ومعه ستون أو سبعون رجلاً حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل.

فلما سمع مسلم صهيل الخيل عجلّ في دعائه الذي كان مشغولاً به، ثم لبس لامته، وقال لطوعة:

«قد أدّيت ما عليك من البّر والاحسان وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله ﷺ سيد الإنس والجان.

ثم قال: إني رأيت البارحة عمي أمير المؤمنين عليه السلام في المنام فقال لي: أنت معي غداً».

ثم خرج إليهم بسيفه فاقتحموا عليه الدار فشد عليهم كذلك فأخرجهم، وبدأ يقاتلهم في الأزقة، وكان من قوته وشجاعته أنه كان يأخذ الرجل من تلابيبه فيرفعه من مكانه ويرميه إلى أعلى.[1]

وهو في ذلك يرتجز ويقول:

أُقسِم لا أُقتل إلاّ حُراً ... وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نُكرا

كلُ امرئٍ يوماً ملاقٍ شراً ... ويخلط البارد سخناً مُرّا

رُدَّ شعاع الشمس فاستقرا ... أخاف أن أُكذب أو أُغّرا

* * *

---

(١) نفس المهموم: ١١١.

فلما قتل منهم مقتلة عظيمة وبلغ ذلك ابن زياد أرسل إلى ابن الأشعث يقول: بعثناك إلى رجل واحد لتأتينا به فثلم في أصحابك ثلمة عظيمة، فكيف إذا أرسلناك إلى غيره؟

فأرسل ابن الاشعث: أيها الأمير أتظن أنك بعثتني إلى بقّال من بقّالي الكوفة أو إلى جرمقان من جرامقة الحيرة، أولم تعلم أيها الأمير أنك بعثتني إلى أسد ضرغام وسيف حسام في كف بطل همام من آل خير الأنام.

فأرسل إليه ابن زياد: أن إعطه الأمان فإنك لا تقدر عليه إلا به.

* * *

فلما رأوا شجاعة مسلم وفتكه بهم أشرفوا عليه من السطوح وظهروا فوقه وأخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطناب القصب ثم يقذفونها عليه من فوق السطوح.

فاستند عليه السلام إلى حائط وقال: «ما لكم ترموني بالحجارة كما تُرمى الكفار وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار، ألا ترعون حق رسول الله صلى الله عليه وآله في ذريته».

فقال له ابن الأشعث: لا تقتل نفسك وأنت في ذمتي.

فقال عليه السلام: «أؤسر وبي طاقة. لا والله لا يكون ذلك أبداً، ثم أنهم تكاثروا عليه فطعنه رجل من خلفه فسقط من خلفه وأُسر».

وقيل أنهم حفروا له حفيرة فوقع فيها وأسر، فأقبلوا إليه ونزعوا السيف منه فقال: «هذا أول الغدر».

* * *

ثم إن مسلم بن عقيل لما رأى هذا الحال دمعت عينه بالبكاء.

فقيل له: إن مثلك ومن يطلب مثل الذي طلبت إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك.

قال: إني والله ما أبكي لنفسي ولا لها من القتل أرثي، ولكن أبكي لأهلي المقبلين، أبكي للحسين وآل الحسين عليه السلام.

* * *

ثم أنهم أدخلوه إلى قصر ابن زياد، فرأى جرة فيها ماء بارد فطلب ماءاً فأُتي بماء، فلما أخذه ليشرب امتلأ القدح دماً فلم يقدر أن يشرب، ففعل ذلك ثلاثاً، فلما ذهب في الثالث ليشرب سقطت ثناياه في القدح، فقال:

«الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لشربته».

* * *

وأُدخل على ابن زياد فلم يسلّم عليه بالامارة فقال له: ألا تسلّم على الأمير؟

فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟

* * *

ثم ابن زياد التفت إلى مسلم بن عقيل وقال:

إيهٍ يا ابن عقيل، أتيت الناس وهم جمع ففرقتهم.

قال: كلا لست أتيت لذلك، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعوا إلى حكم الكتاب.

قال ابن زياد: ما أنت وذاك؟ أو لم نكن نعمل فيكم بالعدل؟

فقال مسلم: إن الله ليعلم أنك غير صادق وإنك لتقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن، فشتمه ابن زياد وشتم علياً وعقيلاً والحسين.

فقال مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتم فاقض ما أنت قاض يا عدوا الله.

فأمر ابن زياد رجلاً شامياً أن يصعد به إلى أعلى القصر ويضرب عنقه ويرمي رأسه وجسده إلى الأرض، فأصعده إلى أعلى القصر وهو يُسبِّح الله

ويهلّله ويُكبِّره ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا وكذبونا، وتوجه نحو المدينة وسلم على الحسين عليه السلام.

* * *

ثم ضرب رأسه، ورميت جثته إلى الأرض.

وأمر ابن زياد بسحب مسلم وهاني بالحبال من أرجلهما في الأسواق.

* * *

أما الحسين عليه السلام فقد وصله خبر مقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وهو في منطقة يقال لها (زرود)، فترحم عليهما مراراً وبكى، وبكى معه الهاشميون، وكثر صراخ النساء حتى ارتجَّ الموضع لقتل مسلم بن عقيل وسالت الدموع كل مسيل.

* * *

ومما يذكر أنه استدعى حميدة بنت مسلم وأخذ يمسح على رأسها كما يُصنع باليتامى.

كأن الطفلة أحسّت باليتم وقالت: «يا عم أراك تصنع بي مالم تكن تصنعه من قبل، أظنه قد قتل والدي».

* * *

(١٨)
شهادة أولاد مسلم بن عقيل

روى الشيخ الصدوق رحمه الله في الأمالي قال:

«لمّا قُتل الحسين بن علي عليه السلام أُسر من معسكره غلامان صغيران، فأُتي بهما إلى عُبيد الله بن زياد، فدعا سجّاناً له فقال: خذ هذين الغلامين إليك، فمِن طيّبِ الطعام فلا تطعمهما، ومن البارد فلا تسقهما، وضيّق عليهما سجنهما.

وكـان الغلامـان يصـومان النهـار، فـإذا جنّهمـا الليـل أُتيـا بقرصـين مـن شـعير وكوز من ماء القراح.

فلمّا طال بالغلامين المكث حتى سارا في السنة، قال أحدهما لصاحبه: يا أخي قد طال بنا مكثنا ويوشك أن تفنى أعمارنا وتبلى أبداننا فإذا جاء الشيخ فأعلمه مكاننا، وتقرّب إليه بمحمّد ﷺ لعله يوّسع علينا في طعامنا، ويزيدنا في شرابنا.

فلمّـا جنّهمـا الليـل أقبـل الشـيخ إليهمـا بقرصـين مـن شـعير، وكـوز مـن مـاء القراح، فقال له الغلام الصغير:

يا شيخ أتعرف محمّداً ﷺ؟ قال: وكيف لا أعرف محمداً وهو نبيّي.

قـال: أتعـرف جعفـر ابـن أبـي طالـب؟ قـال: وكيـف لا أعـرف جعفـراً، وقـد أنبتَ الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء.

قـال: أفتعـرف علـي بـن أبـي طالـب؟ قـال: وكيـف لا أعـرف عليـاً وهـو ابـن عمِّ نبيي وأخو نبيي.

قال: يا شيخ فنحن من عترة نبيّك محمد ﷺ ونحن من ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وبيدك أسارى، نسألك من طيّب الطعام فلا تطعمنا، ومن بارد الشراب فلا تسقينا، وقد ضيّقت علينا سجننا، فانكبّ الشيخ على أقدامهما ويقول:

نفســي لنفســكما الفــداء، ووجهــي لوجهكمــا الوقــاء يــا عتــرة نبــي الله المصطفى، هذا باب السجن بين يديكما مفتوح فخذا أيّ طريق شئتما.

فلمــا جنّهمــا الليــل أتاهمــا بقرصــين مــن شــعير وكــوز مــن مــاء القُــراح ووقفهمـا علـى الطريـق، وقـال لهمـا: سـيرا يـا حبيبـيَّ الليـل، واكمُنـا النهـار حتـى يجعــل الله ﷻ لكمــا مــن أمركمــا فرجــاً ومخرجــاً، ففعــل الغلامــان ذلــك، فلمّــا جنّهما الليل انتهيا إلى عجوز على الباب، فقالا لها:

يـا عجـوز إنـا غلامـان صـغيران غريبـان حـدثان غيـر خبيـرين بـالطريق، وهـذا الليل قد جنّنا، أضيفينا سواد ليلتنا هذه فإذا أصبحنا لزمنا الطريق.

فقالت لهما: فمن أنتما يا حبيبيّ، فقد شممت الروائح كلّها فما شممت رائحة هي أطيب من رائحتكما. فقالا لها: يا عجوز نحن من عترة نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله هربنا من سجن عبيد الله بن زياد من القتل.

قالت العجوز: يا حبيبيّ إنّ لي ختناً زوجاً فاسقاً قد شهد الواقعة مع عبيد الله بن زياد، أتخوّف أن يصيبكما ههنا فيقتلكما.

قالا: سواد ليلتنا هذه فإذا أصبحنا لزمنا الطريق.

فقالت: سآتيكما بطعام، ثم أتتهما بطعام فأكلا وشربا ولمّا ولجا الفراش قال الصغير للكبير: يا أخي إنّا نرجو أن نكون قد أمنّا ليلتنا هذه فتعال حتى أعانقك وتعانقني وأشم رائحتك وتشم رائحتي قبل أن يفرّق الموت بيننا، ففعل الغلامان ذلك واعتنقا وناما، فلمّا كانا في بعض الليل أقبل ختن العجوز الفاسق حتى قرع الباب قرعاً خفيفاً، فقالت العجوز: من هذا؟ فقال: أنا فلان.

فقالت: ما الذي أطرقك هذه الساعة وليس هذا لك بوقت؟

قال: ويحك افتحي الباب قبل أن يطير عقلي وتنشق مرارتي جهداً لبلاء قد نزل بي.

قالت: ويحك ما نزل بك؟

قال: هرب غلامان صغيران من عسكر عبيد الله فنادى الأمير في معسكره: من جاء برأس واحد منهما فله ألف درهم، ومن جاء برأسيهما فله ألفا درهم، فقد أتعبت وتعبت ولم يصل في يدي شيء.

فقالت: العجوز يا ختني احذر أن يكون محمّد صلى الله عليه وآله خصمك في القيامة.

قال لها: ويحك إن الدنيا محرصٌ عليها.

فقالت: وما تصنع بالدنيا وليس معها آخرة.

قال: إني لأراك تحامين عنهما كأن عندك من طلب الأمير شيء فقومي فإن الأمير يدعوك.

قالت: ما يصنع الأمير بي وإنما أنا عجوز في هذه البرية.

قال: إنما لي الطلب، افتحي الباب حتى أريح واستريح فاذا أصبحت فكّرت في أي الطريق آخذ في طلبهما.

ففتحت له الباب وأتته بطعام وشراب، فأكل وشرب، فلما كان في بعض الليل سمع غطيط الغلامين في جوف الليل، فأقبل يهيج كما يهيج البعير ويخور كما يخور الثور، ويلمس بكفه جدار البيت حتى وقعت يده على جنب الغلام الصغير.

فقال له: من هذا؟

قال: أما أنا فصاحب المنزل فمن أنتما؟

فأقبل الصغير يحرّك الكبير ويقول: قم يا حبيبي فقد والله وقعنا فيما كنا نحاذره.

قال لهما: من أنتما؟

قالا له: يا شيخ إن نحن صدقناك فلنا الأمان؟

قال: نعم.

قالا: ومحمد بن عبد الله على ذلك من الشاهدين.

قال: نعم.

قالا: والله على ما تقول وكيل وشهيد.

قال: نعم.

قالا: يا شيخ فنحن من عترة نبيّك محمّد ﷺ هربنا من سجن عبيد الله بن زياد من القتل.

فقال لهما: من الموت هربتما والى الموت وقعتما، الحمد لله الذي أظفرني بكما.

فقام إلى الغلامين فشدّ أكتافهما، فبات الغلامان ليلتهما مكتوفين.

فلمّا انفجر عمود الصبح دعا غلاماً أسود يقال له فليح، فقال: خذ هذين

الغلامين فانطلق بهما إلى شاطي الفرات واضرب أعناقهما وائتني برأسيهما لأنطلق بهما إلى عبيد الله وآخذ الجائزة.

فحمل الغلام السيف فمضى بهما ومشى أمام الغلامين، فما مضى إلاّ غير بعيد حتى قال أحد الغلامين: يا أسود ما أشبه سوادك بسواد بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن مولاي قد أمرني بقتلكما فمن أنتما؟

قالا له: يا أسود نحن من عترة نبيك محمّد صلى الله عليه وآله، هربنا من سجن عبيد الله من القتل أضافتنا عجوزكم هذه ويريد مولاك قتلنا.

فانكبّ الأسود على أقدامهما يقبّلهما ويقول: نفسي لنفسكم الفداء، ووجهي لوجهكم الوقاء، يا عترة نبي الله المصطفى، والله لا يكون محمّدٌ صلى الله عليه وآله خصمي في القيامة.

ثم غدا فرمى بالسيف من يده ناحية، وطرح نفسه في الفرات وعبر إلى الجانب الآخر، فصاح به مولاه: يا غلام عصيتني. فقال: يا مولاي إنما أطعتك ما دمت لا تعصي الله، فاذا عصيت الله فأنا منك برئ في الدنيا والآخرة.

فدعا ابنه فقال: يا بنّي إنما أجمع الدنيا حلالها وحرامها لك، والدنيا محرص عليها، فخذ هذين الغلامين فانطلق بهما إلى شاطيء الفرات فاضرب أعناقهما...

فأخذ السيف ومشى أمام الغلامين فما مضى إلاّ غير بعيد حتى قال أحد الغلامين:

يا شاب ما أخوفني على شبابك هذا من نار جهنم.

فقال: يا حبيبي فمن أنتما؟

قالا: من عترة نبيك صلى الله عليه وآله يريد والدك قتلنا.

فانكبّ الغلام على أقدامهما يقبّلهما ورمى السيف ناحية وعبر الفرات..

فصاح به أبوه يا بنيّ عصيتني؟ قال: لئن أطيع الله وأعصيك أحبّ اليّ من أن أعصي الله وأطيعك.

قال الشيخ: لا يلي قتلكما أحدٌ غيري، وأخذ السيف ومشى أمامهما، فلما صار إلى شاطي الفرات سلّ السيف من جفنه. فلمّا نظر الغلامان إلى السيف مسلولاً اغرورقت أعينهما بالدموع، وقالا: يا شيخ انطلق بنا إلى السوق واستمتع بأثماننا ولا ترد أن يكون محمّد ﷺ خصمك في القيامة غداً.

فقال: لا، ولكن اقتلكما وأذهب برأسيكما..فقال: يا شيخ أما تحفظ قرابتنا من رسول الله ﷺ.

فقال: ما لكما من رسول الله قرابة، قالا: يا شيخ فأت بنا إلى عبيد الله بن زياد حتى يحكم فينا بأمره.

قال: ما بي إلى ذلك سبيل إلا التقرب إليه بدمكما.

قالا له: يا شيخ أما ترحم صغر سننا؟

قال: ما جعل الله لكما في قلبي من الرحمة شيئاً.

قالا له: يا شيخ إن كان ولابد فدعنا نصلي ركعات، قال: فصليا ما شئتما إن نفعتكما الصلاة.

فصلى الغلامان أربع ركعات، ثم رفعا طرفيهما إلى السماء فناديا: يا حي يا حكيم، يا أحكم لحاكمين، أحكم بيننا وبينه بالحق.

فقام إلى الأكبر فضرب عنقه وأخذ برأسه ووضعه في المخلاة، وأقبل الغلام الصغير يتمرغ في دم أخيه وهو يقول: حتى ألقى رسول الله ﷺ وأنا مخضب بدم أخي.

فقال: لا عليك سوف ألحقك بأخيك، ثم قام إليه فضرب عنقه، ورمى بدنهما في الماء.

ومرّ حتى أتى بهما عبيد الله بن زياد وهو قاعد على كرسي له وبيده قضيب خيزران، فوضع الرأسين بين يديه، فلمّا نظر إليهما قام ثمّ قعد ثلاثاً ثم

قال: الويل لك أين ظفرت بهما؟ قال: أضافتهما عجوز لنا، فقال: فما عرفت لهما حق الضيافة. قال: لا. قال: فأي شيء قالا لك؟

قال: قالا يا شيخ اذهب بنا إلى السوق..ونقل له ما جرى بينه وبينهما.

فقال ابن زياد: أفلا جئتني بهما حيّين فكنت أضاعف لك الجائزة وأجعلها أربعة آلاف درهماً.

قال: ما رأيت إلى ذلك سبيلاً إلا التقرب إليك بدمهما.

* * *

فقال ابن زياد: فأيّ شيء قالا في آخر صلاتهما؟ قال: رفعا طرفيهما إلى السماء وقالا: يا حيّ يا حكيم، يا أحكم الحاكمين أحكم بيننا وبينه بالحق.

قال عبيد الله بن زياد: فإنّ أحكم الحاكمين قد حكم بينكم، من للفاسق؟

قال: فانتدب له رجل من أهل الشام، فقال: أنا له.

فقال: فانطلق به إلى الموضع الذي قتل فيه الغلامين فاضرب عنقه.[1]

* * *

نعم، هذه هي قصة الغلامين لمسلم بن عقيل.

وهناك ولد آخر من أولاد مسلم بن عقيل استشهد مع الحسين عليه السلام في كربلاء وهو عبد الله بن مسلم بن عقيل، ويروي المؤرخون أنّه أول من برز من أهل بيت الحسين عليه السلام وبرز وهو يرتجز ويقول:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي	وفتية بادوا على دين النبي

قاتل قتالاً شديداً حتى قتل منهم ثمانية وتسعين رجلاً ثم قُتِل...

ساعد الله قلب الحسين عليه السلام وهو يستقبل هؤلاء الشهداء والضحايا.

* * *

---

(١) نفس المهموم: ١٥٨.

(١٩)

شهادة عليّ الأكبر

ذهب جمع من المؤرخين إلى أن أوّل شهيد من أهل بيت الحسين عليه السلام هو عليّ الأكبر،وهناك رأي آخر يقول أن أول شهيد هو عبد الله بن مسلم بن عقيل.

* * *

واختلف المؤرخون أيضاً في عليّ الأكبر، هل هو أكبر أولاد الحسين عليه السلام، أم أن الإمام زين العابدين هو الأكبر؟

ذهب الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد إلى أنّ المقتول بالطفّ هو علي الأصغر، وإنّ علياً الأكبر هو زين العابدين.[1]

إلاّ أن المحدّث المحقّق الشيخ عباس القمي يذهب إلى أن المقتول في الطف هو الأكبر وأنّ زين العابدين عليه السلام كان أصغر منه، يعني أنه الأوسط، وعبد الله الرضيع هو الأصغر.

* * *

واختلفت الروايات في عمره الشريف، فعلى رواية عمره خمس وعشرون سنة.

* * *

روى أرباب المقاتل[2] أنه لمّا قتل أصحاب الحسين عليه السلام ولم يبق معه إلاّ أهل بيته خاصّة، أقبل علي الأكبر يستأذن أباه، فأذن له الحسين عليه السلام، ثم نظر إليه نظر آيس منه وأرخى عينيه بالدموع.

وروي أنه رفع شيبته نحو السماء وقال:

---

(١) الإرشار/ المفيد: ٢/ ١٣٥.

(٢) نفس المهموم.

«اللهّم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إلى وجهه، اللهم امنعهم بركات الأرض، وفرّقهم تفريقا، ومزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قِدداً، ولا ترضِ الولاة عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا».

ثم صاح بعمر بن سعد: مالك قطع الله رحمك، ولا بارك الله لك في أمرك، وسلّط عليك من يذبحك بعدي على فراشك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثمّ حمل علي بن الحسين وهو يرتجز ويقول:

أنا علي بن الحسين بن علي	نحن وبيتُ الله أولى بالنبي
أضربكم بالسيف حتى ينثني	ضرب غلامٍ هاشميٍّ علوي
ولا أزال اليوم أحمي عن أبي	تالله لا يحكم فينا ابن الدعيّ

فقتل منهم جمعاً عظيماً، وروي أنه قتل على عطشه مائة وعشرين رجلاً.

ثم رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال:

«يا أبة العطش قد قتلني، وثقل الحديد أجهدني، فهل إلى شربة من ماء أتقوى بها على الأعداء؟ فبكى الحسين عليه السلام وقال: واغوثاه يا بني، قاتل قليلاً فما أسرع ماتلقى جدّك محمّداً صلى الله عليه وآله فيسقيك بكأسه الأوفى شربةً لا تظمأ بعدها أبداً.

قيل أنه عليه السلام قال: يا بني هاتِ لسانك، فأخذ بلسانه فمصّه، ودفع إليه خاتمه، وقال: أمسكه في فيك، وارجع إلى قتال عدوك، فإني أرجو أن لا تمسي حتى يسقيك جدّك بكأسه الأوفى شربةً لا تظمأ بعدها أبداً».

ثم عاد إلى القتال، فلم يزل يقاتل حتى قتل تمام المائتين، فبصر به مرّة بن منقذ العبدي وقال: عليّ آثام العرب إن لم أثكل أباه. فاعترضه وطعنه فخرّ صريعاً، ثم نادى: «يا أبتاه عليك السلام هذا جدّي رسول الله يقرؤك السلام ويقول عجّل القدوم إلينا».

وفـي روايـة أخـرى: (هـذا جـدي قـد سـقاني بكأسـه شـربةً لا أظمـأ بعـدها، وهو يقول إنّ لك كأساً مذخورة).

فأتاه الحسين عليه السلام وانكبّ عليه واضعاً خدّه على خدّه وهو يقول:

«علـى الـدنيا بعـدك العفـا...يعـزّ علـى جـدّك وأبيـك أن تـدعوهم فـلا يجيبوك أو تستغيث بهم فلا يغيثون».

* * *

(٢٠)
شهادة القاسم بن الحسن عليه السلام

أولاد الإمام الحسن عليه السلام الذين استشهدوا مع الحسين عليه السلام يوم الطف ثلاثة:

أحـدهم: (أبـو بكـر واسـمه عبـد الله، والظـاهر أنـه أكبـر مـن أخيـه القاسـم، وفي بعض المصادر أنه هو الذي تزوج من سكينة بنت الحسين).[١]

الثاني: القاسم بن الحسن.

يـروي المؤرخـون أن الحسـين عليه السلام لمـا جمـع أصـحابه وأهـل بيتـه ليلـة العاشـر مـن المحـرم وقـال لهـم: «اتخـذوا الليـل جمـلا وانجـوا بأنفسـكم...» تسـارع الأصـحاب وأهـل بيـت الحسـين عليه السلام لبيـان نصـرتهم لـه وعـدم تخلـيهم عنـه، فلمـا رأى الحسين ذلك منهم أخبرهم بأنهم يقتلون معه ولا يبقى منهم أحد.

فقال له القاسم بن الحسن عليه السلام: وأنا فيمن يقتل؟

فأشفق عليه الحسين عليه السلام، فقال له: «يا بني كيف يكون الموت عندك؟

قال: يا عم أحلى من العسل.

فقـال: أي والله فـداك عمـك إنـك لأحـد مـن يقتـل مـن الرجـال معـي بعـد أن تبلو ببلاء عظيم».[٢]

---

(١) مقتل الحسين للمقرم.

(٢) نفس المهموم: ٢٣٠.

روى الصدوق أن القاسم برز بعد مقتل علي الأكبر عليه السلام.

وروي أن الحسين عليه السلام لما نظر إليه قد برز اعتنقه وجعلا يبكيان حتى غشي عليهما، ثم استأذن الحسين عليه السلام في المبارزة فأبى عليه السلام أن يأذن له، فلم يزل الغلام يقبّل يديه ورجليه حتى أذن له، فخرج ودموعه تسيل على خديه وهو يقول:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن ... سبط النبي المصطفى والمؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن ... بين أناس لا سقوا صوب المزن

يروي حميد بن مسلم وهو ممن شهد المعركة يقول:

«خرج إلينا غلام كأنّ وجهه شقة قمر، وفي يده السيف وعليه قميص وأزار ونعلان قد انقطع شسع أحدهما ما أنسى أنها اليسرى.

فقال عمرو بن سعد الأزدي: والله لأشدّن عليه.

فقلت له: سبحان الله وما تريد إلى ذلك، يكفيك قتله هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه من كل جانب.

قال: والله لأشدّن عليه.

فشدّ عليه وضرب رأسه بالسيف، فوقع الغلام لوجهه منادياً: يا عمّاه فشد إليه الحسين كالليث الغاضب، وضرب عمرواً بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنها من المرفق، فصاح صيحة سمعها أهل العسكر، ثم تنحى عن الحسين عليه السلام وحملت خيل أهل الكوفة ليستقذوا عمرواً من الحسين عليه السلام، فلما حملت الخيل استقبلته بصدورها وجالت فوطأته فمات.

وانجلت الغبرة فإذا الحسين قائم على رأس الغلام والغلام يفحص برجليه، والحسين عليه السلام يقول:

«بُعداً لقوم قتلوك، خصمهم يوم القيامة جدك».

ثم قال:

«عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك صوته (إجابته)، وهذا يوم والله كثر واتره وقلّ ناصره».

ثم احتمله الحسين، يقول الراوي: «فكأني أنظر إلى رجلي الغلام تخطان في الأرض وقد وضع الحسين صدره على صدره» وأقبل به فوضعه بين القتلى.

ثم قال الحسين عليه السلام في رواية:

«صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً».

والثالث: عبد الله بن الحسن، وقد قتل عندما سقط الحسين عليه السلام وأحاط به الأعداء.

* * *

كيف حال رملة (أم القاسم) وقد فقدت ثلاثة من أولادها في ساعة واحدة.

* * *

(٢١)
مقتل العباس عليه السلام

فضل العباس عليه السلام:

أبو الفضل العباس عليه السلام له منزلة خاصة، ومقام رفيع، ونستطيع أن نعرف هذا من الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كان عمنّا العباس عليه السلام نافذ البصيرة، وصلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً.[١]

وقد ورد في رواية أخرى عن الإمام السجاد عليه السلام قال:

«رحم الله العباس فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قُطعت يداه

---

(١) نفس المهموم.

فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب عليه السلام.

وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة».[(١)]

* * *

الصلابة:

وقد عُرف العباس عليه السلام بالصلابة فضلاً عن الشجاعة، ولهذا انتخبه الحسين عليه السلام فجعله حامل لوائه.

وقد روى المؤرخون أن شمر بن ذي الجوشن وقف على أصحاب الحسين عليه السلام فقال: أين بنو أختنا؟ _ يقصد العباس وإخوته أولاد أم البنين، وكانت أم البنين عمة الشمر على ما ذكروا _.

فخرج العباس وجعفر وعبد الله وعثمان فقالوا: ما تريد؟

فقال: أنتم يا بني أختي آمنون.

فقالت له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له.

وفي رواية أن العباس ناداه قائلاً: تبت يداك وبئس ما جئتنا به من أمانك يا عدو الله، أتأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة عليه السلام وندخل في طاعة اللّعناء وأولاد اللّعناء.

الشجاعة:

أما شجاعة العباس عليه السلام فهي بالنسبة له ذاتية ووراثية، فهو من طرف الأب وليد أمير المؤمنين عليه السلام أشجع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو من طرف الأم ينتسب إلى بني كلاب الذين عُرف عنهم أنهم ليس في العرب أشجع منهم.

(١) نفس المهموم.

وقد روى المؤرخون أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل _ وكان نسّابة عالماً بأنساب العرب وأخبارهم _ انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً.

فقال له عقيل: تزوج أم البنين الكلابية، فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها فتزوجها.

الوفاء والمواساة:

ومن جملة ما عرف به العباس عليه السلام صفة الوفاء، لذا نقرأ في زيارته عليه السلام:

«أشهد لقد نصحت لله ولرسوله ولأخيك فنعم الأخ المواسي، فلعن الله أمةً قتلتك، ولعن الله أمةً ظلمتك، ولعن الله أمة استحلت منك المحارم...».

ولعل هذا إشارة إلى موقف العباس عليه السلام يوم العاشر من المحرم لما أذن له الحسين عليه السلام بطلب الماء للأطفال، أقبل العباس فجلى القوم عن المشرعة ووصلها، فلما اغترف من الماء ليشرب تذكّر عطش الحسين عليه السلام فرمى الماء من يده وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني

هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

تالله ما هذا فعال ديني

* * *

(٢٢)

مقتل العباس عليه السلام

عُرف العباس عليه السلام بعدّة ألقاب:

منها: قمر بني هاشم.

ومنها: السقاء. لأنه كان ساقي عطاشا كربلا.

فالحسين عليه السلام قد كلّف أخاه العباس عليه السلام مرتين في طلب الماء.

المرة الأولى: يوم السابع من المحرم حين اشتد الحصار على سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه.

هنا دعا الحسين عليه السلام أخاه العباس عليه السلام وضمّ إليه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً مع عشرين قربة وقصدوا الفرات بالليل.

وتقدم نافع بن هلال باللواء، فصاح عمرو بن الحجاج: من الرجل؟

فقال: جئنا لنشرب من هذا الماء.

فقال: اشرب ولا تحمل إلى الحسين منه.

فقال نافع: لا والله لا أشرب منه قطرة والحسين ومن معه من آله وصحبه عطاشى.

فشدّ عليه أصحاب ابن الحجاج، وكان أبو الفضل العباس عليه السلام هو المحامي عنهم.

* * *

المرة الثانية: التي أرسل عليه السلام فيها أخاه العباس لطلب الماء هي في يوم العاشر من المحرم.

روى العلامة المجلسي في البحار: أن العباس لما رأى وحدة الحسين عليه السلام أتى أخاه وقال: يا أخي هل من رخصة؟

فبكى الحسين عليه السلام بكاءاً شديداً ثم قال:

يا أخي أنت صاحب لوائي، وإذا مضيت تفرّق عسكري.

فقال العباس: قد ضاق صبري وسئمت من الحياة وأريد أن أطلب ثأري من هؤلاء المنافقين.

فقال الحسين عليه السلام: فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء.

هنا برز العباس عليه السلام يطلب الماء.

ولما أذن له الحسين عليه السلام أقبل إلى القوم فوعظهم وحذّرهم فلم

يـنفعهم، فرجـع إلـى أخيـه فـأخبره. فسـمع الأطفـال ينـادون: العطـش العطـش، فركـب فرسـه وأخـذ رمحـه والقربـة وقصـد نحـو الفـرات، فأحـاط بـه أربعـة آلاف ممـن كـانوا مـوكّلين بـالفرات ورمـو بالنبـال، فكشـفهم وقتـل مـنهم علـى مـا روي ثمانين رجلاً حتى وصل المشرعة.

فلما أراد أن يشرب ذكر عطش الحسين وأهل بيته، فرمى الماء من يده وملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن وتوجه نحو الخيام، فقطعوا عليه الطريق وأحاطوا به من كل جانب، فبينا هو يقاتل إذ كمن له لعين فضربه على يده اليمنى فقطعها، فأخذ السيف بيساره فكمن له لعين فضربه على يساره فقطعها، فحمل القربة بأسنانه وجاءه سهم فأصاب القربة وأُريق ماؤها، وبينا هو واقف إذ ضربه رجل بعمود من حديد على أم رأسه ففلق هامته فوقع على الأرض ينادي:

يا أبا عبد الله عليك مني السلام.

فلمـا سـمع الحسـين عليه السلام صـوته أقبـل إليـه، وجلـس عنـد رأسـه مناديـاً: الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي.

* * *

(٢٣)

مقتل أبي الفضل العباس عليه السلام

أبـو الفضـل العبـاس هـو أكبـر إخوتـه مـن أم البنـين، وهـم عبـد الله، وجعفـر، وعثمان، وكان عمره يوم الطف أربعا وثلاثين سنة.

وحـين جمـع الحسـين عليه السلام أصـحابه وأهـل بيتـه أعطـى رايتـه لأخيـه أبـي الفضل العباس.

والعبـاس هـو آخـر مـن قُتـل مـن أهـل بيـت الحسـين عليه السلام وقبـل عبـد الله بـن الحسـين _ وذلـك أن الحسـين عليه السلام كـان يسـتبقي أبـا الفضـل العبـاس عليه السلام

ويحتفظ بوجوده لأنه كان يراه وكأنه جميع العسكر، ويأبى مفارقته ويقول له: «إذا مضيت تفرّق عسكري» مع أن الحسين عليه السلام لا عسكر له ولا جماعة فكلهم قد قتلوا واستشهدوا.

* * *

وقد قدّم العباس إخوته أمامه فقال لهم: «تقدموا يا بني أمي حتى أراكم نصحتم لله ولرسوله» فتقدموا جميعاً واستشهدوا.

* * *

أما في كيفية مبارزة العباس عليه السلام فهناك روايتان، رواية تقول أنه برز سوياً مع الحسين عليه السلام، ورواية تقول أنه برز لوحده بعد أن استأذن من الحسين عليه السلام.

وربما كانت كلتا الروايتين صحيحتين، بمعنى أن أبا الفضل العباس برز مرتين.

في المرة الأولى مع الحسين عليه السلام كما رواه الشيخ المفيد في الإرشاد _ فانه لما اشتد العطش بالحسين عليه السلام وغلبه القوم على عسكره، وأستشهد صحبه وأهل بيته، ركب يريد الفرات وبين يديه أخوه وحامل لوائه أبو الفضل العباس.

يروي الدينوري في كتاب الأخبار الطوال: أن العباس بن علي بقي قائماً إمام الحسين عليه السلام يقاتل دونه ويميل معه حيثما مال.[1]

وقد نقل أهل المنبر أنه في هذه الحملة كان الحسين عليه السلام والعباس أحدهما يحمي الآخر، فإذا شنّ القوم حملتهم على العباس فرّق جموعهم وغاص في أوساطهم وهو يقول: (خذها وأنا ابن حيدرة) وإذا شنّ القوم حملتهم على الحسين عليه السلام فرّق جموعهم، وشتت أبطالهم وهو يقول: (خذها وأنا ابن علي).

وكان إذا اشتد الحال بأحدهما نادى أخاه: «أدركني يا أخي»، فيقبل إليه أخوه يفرّق عنه الجموع والحشود.

---

(١) نفس المهموم: ٣٢٥.

ومضت ساعة وابنا أمير المؤمنين يختطفون القلوب والأرواح، حتى قال واحد من معسكر الأعداء وهو رجل من بني دارم _ ويلكم حولوا بينه وبين الفرات، فقال الحسين عليه السلام اللهم أظمئه، فغضب الدارمي ورمى الحسين بسهم أثبته في حنكه، فانتزع الحسين عليه السلام السهم وبسط يديه تحت حنكه فامتلأت راحتاه بالدم، فرمى به ثم قال: اللهم إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك،ثم رجع إلى مكانه وقد اشتد به العطش.

* * *

هذه هي الحملة الأولى للعباس مع أخيه الحسين عليه السلام.

أما الحملة الثانية _ على الرواية الثانية _ فهي أن أبا الفضل العباس لما رأى وحدة الحسين عليه السلام أقبل يستأذنه قائلاً: «يا أخي هل من رخصة؟» فبكى الحسين عليه السلام بكاءاً شديداً ثم قال: إطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء.

* * *

يظهر من الروايات أن الحسين عليه السلام بكى ثلاث مرّات لأخيه العباس.

المرة الاولى: عندما أقبل يستأذنه للبراز، فقد بكى الحسين عليه السلام بكاءاً شديداً، وقال يا أخي أنت صاحب لوائي، وإذا مضيت تفرّق عسكري. ثم أذن له.

المرة الثانية: عندما جلس عند رأس أخيه العباس وهو صريع.

رآه مقطوع اليدين، مرمي العين، المخ سائل على الكتفين، هنا يروي الخطباء أن العباس كان مغمىً عليه، فلما أقبل إليه الحسين عليه السلام أخذ رأسه ووضعه في حجره فسقطت قطرة من دموع الحسين عليه السلام على وجه أخيه فانتبه العباس، وظن أن الشمر يريد أن يحتز رأسه، فقال: يا هذا بالله عليك أمهلني حتى يأتي أخي أودعه ويودعني، فقال له الحسين: «أنا أخوك».

«أخي الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي، وشمت بي عدوي».

* * *

والمرة الثالثة: حين قام من أخيه العباس عائداً إلى المخيّم.

يروي المؤرخون أن الحسين عاد منكسراً حزيناً باكياً يكفكف دموعه بكمّه.

فأتته سكينة وسألته عن عمها فأخبرها بمقتله، وسمعت زينب فصاحت:

«واأخاه، واعباساه، واضيعتنا بعدك» وبكين النسوة وبكى الحسين معهنّ قائلاً: «واضيعتنا بعدك».

نادى وقد ملأ البوادي صيحةً   صمّ الصخور لهولها تتألم

* * *

(٢٤)

إخوة العباس عليه السلام

وخبرعابس وشوذب:

المعروف أن أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته كانوا يتسابقون إلى الشهادة، ويتنافسون في بذل الأرواح والمهج دفاعاً عن الحسين عليه السلام، خصوصاً بعد أن أراهم الحسين عليه السلام مقاماتهم ومنازلهم في الجنّة، كما ورد في الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام، لكن نلاحظ من جهة ثانية ظاهرة أخرى وهي أنّ بعض أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته كانوا يقدمّون بين يديهم إخوتهم أو أولادهم أو من يخصّهم بصلة، يعني يقدّم ابنه أو أخاه أو صاحبه قبله ليستشهد بين يدي الحسين عليه السلام ثم تصل النوبة إليه.

من هؤلاء عابس بن شبيب الشاكري وهو من شجعان الكوفة وفرسانها، وكان له مولى اسمه شوذب (يقول الشيخ عباس القمي في نفس المهموم، إنه لم يكن مولى بمعنى العبد وإنما كان حليفاً أو نزيلاً عند قبيلة الشاكري).

على كل حال روى المؤرخون أنه:

«جاء عابس بن شبيب الشاكري ومعه شوذب مولى شاكر، فقال: يا شوذب ما في نفسك أن تصنع؟

قال: أُقاتل معك دون ابن بنت رسول الله ﷺ حتى أُقتل.

فقال عابس: ذلك الظنّ بك، فتقدّم بين يدي أبي عبد الله عليه السلام حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه وحتى أحتسبك أنا، فإنه لو كان معي الساعة أحد أنا أولى به مني غيرك لسرّني أن يتقدم بين يدي حتى أحتسبه، فإنّ هذا يوم ينبغي أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه، فإنه لا عمل بعد اليوم وإنما هو الحساب.

فتقدّم شوذب فسلّم على الحسين عليه السلام ثم مضى فقاتل حتى قُتِل رحمه الله.

ثمّ تقدّم عابس إلى الحسين عليه السلام فقال:

يا أبا عبد الله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز من نفسي ودمي لفعلته، والسلام عليك يا أبا عبد الله أُشهد الله أني على هديك وهدي أبيك، ثم مشى بالسيف مصلتاً نحوهم وبه ضربة على جبينه.

يروي ربيع بن تميم ـ وهو رجل كان قد شهد المعركة ـ لمّا رأيته مقبلاً عرفته وقد شاهدته في المغازي وكان أشجع الناس وقلت: أيها الناس هذا أسد الأسود، هذا ابن شبيب لا يخرجنّ إليه أحدٌ منكم، فأخذ ينادي: ألا رجل؟

فقال عمر بن سعد: ألا رجل؟ إرضخوه بالحجارة، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومغفرته ثمّ شدّ على الناس.

يقول الراوي: فوالله لرأيته يطرد أكثر من مائتين من الناس.

والمعروف بين الخطباء أنّه لمّا ألقى عابس درعه ومغفرته قيل له: أجُننت يا عابس؟ قال: حب الحسين أجنّني.

ومن جملة من قدّم إخوته بين يديه أبو الفضل العباس عليه السلام.

يروي المؤرخون: أنه لما رأى العباس كثرة القتلى في أهله قال لأخوته (عبد الله، وجعفر، وعثمان أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وأمّهم جميعاً أم

البنـين): تقـدّموا بنفسـي أنـتم فحـاموا عـن سـيّدكم حتـى تموتـوا دونـه، فتقـدموا جميعاً فصاروا أمام الحسين عليه السلام يقونه بوجوههم ونحورهم حتى قُتلوا...

* * *

نعـم هـؤلاء أربعـة إخـوة تقـدّموا واستشـهدوا بـين يـدي الحسـين عليه السلام، لهـذا يُنقل أن أم البنين كانت تنصب قبوراً أربعة لأولادها وتقول:

لا تـــدعونّي ويـــك أمّ البنـــين ... تـــذكريني بليـــوث العـــرين

كانـــت بنـــون لـــي أدعـــى بهـــم ... واليـــوم أصـــبحت ولا مـــن بنـــين

ويـروي الشـيخ عبـاس القمـي أنهـا كانـت تنـدب أولادهـا فتُبكـي مـن سـمعها حتى أنّ مروان كان يبكي لندبتها.

كانت تقول:

يـا مـن رأى العبـاس كـرّ علـى صـناديد النقـد

ووراه مـــن أبنـــاء حيـــدر كـــل ليـــثٍ ذي لبـــد

لهفـي علـى شـبلي أطـاح برأسـه ضـرب العمـد

لـو كـان سـيفك فـي يـديك لمـا دنـا منـه أحـد

* * *

(٢٥)

فضل أصحاب الحسين عليه السلام

أصـــحاب الحســـين عليه السلام لهـــم فضـــل خـــاص يمتـــازون بـــه عـــن الآخـــرين وحتى عن سائر الشهداء.

النصوص:

فـنحن إذا نظرنـا إلـى مـا ورد فـي حقهـم وفضـلهم علـى لسـان أئمتنـا عليهم السلام نجد أن لهم مقاماً رفيعاً لا يقاس به أحد من الشهداء.

ففيهم قال الحسين عليه السلام:

«أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي».

وفيهم قال الحسين أيضاً لإخته العقيلة زينب:

«والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه».

وفيهم أيضا وردت الزيارة الخاصة:

«السلام عليكم يا أولياء الله وأحبّاءه، السلام عليكم يا أصفياء الله وأودّاءه».

وأعظم من كل ذلك ما ورد في حقّهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليه السلام، فقد عبّر عنهم الرسول صلى الله عليه وآله في رواية بأنهم «سادات الشهداء».

أما علي عليه السلام فقد عبّر عنهم بقوله: «مصارع عشاق لم يسبقهم أحد قبلهم، ولا يلحق بهم أحد بعدهم».[(١)]

كما ورد عن ميثم التمار قوله: «إن الحسين سيد الشهداء يوم القيامة ولأصحابه على سائر الشهداء درجة».[(٢)]

* * *

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئل عن أصحاب الحسين عليه السلام وسبب إقدامهم على الموت أنه قال: «إنهم كُشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة، فكان الرجل يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء ليعانقها وإلى مكانه من الجنة».[(٣)]

وقد أُشير إلى هذا المعنى في الزيارة الواردة عن الناحية المقدسة:

«أشهد لقد كشف الله لكم الغطاء، ومهّد لكم الوطاء، وأجزل لكم العطاء».

---

(١) قيام الحسين: دستغيب: ١١٤.

(٢) نفس المهموم: ٦٢٧.

(٣) نفس المهموم: ٢٥٢.

الكلمات:

أما إذا أردنا أن نعرف منزلتهم وفضلهم من خلال عرض تصريحاتهم وبياناتهم ودرجة استعدادهم للتضحية والفداء، وبذل الأنفس دون الحسين عليه السلام، فيكفي أن نعرف أن الحسين عليه السلام وقد أحاطت به الأعداء وأيقن هو وأصحابه بالقتل، أذِن لهم بالإنصراف، وأجازهم بالرحيل عنه، ولكنهم أبوا الانصراف عنه.

واختلفت أقوالهم في بذل الأرواح والأنفس، مثال ذلك:

نافع بن هلال: حين أذن له الحسين بالانصراف وقع على قدميه يقبلهما ويقول: ثكلتني أمي، إن سيفي بألف وفرسي مثله، فوالله الذي منّ بك عليّ لا فارقتك حتى يكلا عن فري وجري.[1]

وينهض له بنو عقيل يقولون:

«لا والله لا نفعل، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، نقاتل معك حتى نرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك».[2]

ويقوم له مسلم بن عوسجة فيقول:

«والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسوله فيك، أما والله لو علمت إني أُقتل ثم أحيا ثم أُحرق ثم أُذرى يُفعل بي سبعين مرة لما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً».[3]

وقال له زهير بن القين:

«والله لوددت أني قُتلت ثم نُشرت ثم قُتلت حتى أُقتل كذا ألف مرة وأن الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك».[4]

---

(١) مقتل المقرم: ٢٦٥.
(٢) المقتل: ٢٥٩.
(٣) المقتل: ٢٥٩.
(٤) المصدر السابق.

أما جون مولى أبي ذر الغفاري، فلما أذن له الحسين عليه السلام وقع على قدميه يقبلهما ويقول: «أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدة أخذلكم، إن ريحي لنتن وحسبي للئيم ولوني لأسود فتنفس عليّ بالجنة ليطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيضّ لوني، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم»، فأذن له الحسين عليه السلام ودعا له قائلاً:

«اللهم بيّض وجهه، وطيّب ريحه، واحشره مع محمد صلى الله عليه وآله، وعرّف بينه وبين آل محمد صلى الله عليه وآله».

فكان من يمر بالمعركة يشم رائحة طيبة أزكى من المسك.

* * *

(٢٦)
فضل أصحاب الحسين عليه السلام

المواقف:

من خلال مواقف أصحاب الحسين عليه السلام يُعرف فضلهم وعلوّ درجتهم.

وحين قال فيهم الإمام الحسين عليه السلام: «إنّي لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي».

لم يكن ذلك مجرد ثناء ومديح بلا واقعية، بل هكذا كان أصحاب الحسين عليه السلام، حتى ورد في حديث شريف أنهم سادات الشهداء.

* * *

تعالوا نستعرض بعض المواقف منهم، وكل موقف نذكره هناك مواقف مثله أو أعظم منه.

أصحاب الحسين عليه السلام كما تعلمون كان فيهم العبد مثل جون مولى أبي ذر الغفاري، وكان فيهم الشيخ الكبير قاريء القرآن مثل برير بن خضير.

وكان فيهم الصغير أيضاً.

نذكر موقف سعيد الحنفي، ومسلم بن عوسجة:

موقف سعيد بن عبد الله الحنفي:

روى المؤرخون[1] أنه لما زالت الشمس من يوم عاشوراء أقبل أبو ثمامة الصائدي إلى الحسين عليه السلام فقال:

«يا أبا عبد الله نفسي لك الفداء إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ولا والله لا تقتل حتى أُقتل دونك إن شاء الله، وأحب أن ألقى الله ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها».

رفع الحسين عليه السلام رأسه وقال:

«ذكرتَ الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم، هذا أوّل وقتها».

ثم قال الحسين عليه السلام: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتّى نصلي.

إلا أن أعداء الله واعداء رسوله أبوا أن يكفّوا عن الحسين وأهل بيته وأصحابه.

فتقدم الحسين عليه السلام وتقدم أمامه زهير بن القين، وسعيد بن عبد الله الحنفي، فصلى الحسين بأصحابه، وروي أنه صلى بالإيحاء، وكان زهير وسعيد يقيانه السهام والرماح والحجارة.

ولما أُثخِنَ سعيد بالجراح سقط إلى الأرض وهو يقول: «اللهم العنهم لعن عاد وثمود، وأبلغ نبيك مني السلام وأبلغه مالقيت من ألم الجراح فإني أردت بذلك ثوابك في نصرة ذرية نبيك صلى الله عليه وآله، والتفت إلى الحسين عليه السلام قائلاً: أوفيت يابن رسول الله؟

فقال له الحسين عليه السلام: «نعم أنت أمامي في الجنة» وقضى نحبه فوُجد فيه ثلاثة عشر سهماً غير الضرب والطعن.

---

(١) نفس المهموم.

هذا موقف من مواقف البطولة والتضحية، وهناك موقف آخر.

موقف مسلم بن عوسجة:

روى المؤرخون أن مسلم بن عوسجة لما سقط صريعاً مشى الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر إلى مصرعه، فقال له الحسين عليه السلام:

«رحمك الله يا مسلم، منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا».

ودَنا منه حبيب وقال: عزّ عليّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة.

فقال بصوت ضعيف: بشّرك الله بخير.

فقال حبيب: لو لم أعلم أنّي في الأثر لأحببت أن توصي إليّ بما أهمك.

فقال مسلم: أوصيك بهذا _ وأشار إلى الحسين _ أن تموت دونه، فقال: أفعل وربِّ الكعبة.

* * *

(٢٧)
الشهداء من أنصار الحسين عليه السلام

«قصة عبد الله بن عفيف»:

يقول الشهيد دستغيب في كتابه النهضة الحسينية:

إن الذين استشهدوا من أنصار الحسين عليه السلام ثلاثة أصناف:

الأول: الذين استشهدوا قبل شهادة الحسين عليه السلام مثل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وقيس بن مسهر الصيداوي.

الثاني: الذين استشهدوا معه في كربلاء يوم عاشوراء.

الثالث: الذين استشهدوا بعد مقتل الحسين عليه السلام، وهؤلاء وإن لم يدركوا الطف ولم يشاركوا في معركة كربلا، إلا أنهم شاركوا في إغاثة الحسين عليه السلام ونصرته، وأجابوا نداءه عليه السلام حين قال: ألا هل من ناصرٍ ينصرنا؟

ومثال هؤلاء عبد الله بن عفيف الأزدي، وكان من خيار الشيعة وزهّادهم، وكانت عينه اليسرى قد ذهبت في يوم الجمل والأخرى في صفين، وخلاصة قصة هذا الرجل العظيم أنه لما وصل ركب الهاشميات إلى الكوفة ودخلوا قصر الأمارة صعد ابن زياد المنبر وقال:

الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين وأشياعه _ يقصد بذلك يزيد عليه اللعنة _ وقتل الكذّاب بن الكذّاب.

قام إليه عبد الله بن عفيف فقال:

«يا بن مرجانة إنّ الكذاب بن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه، يا عدوّ الله أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين.

قال الراوي: فغضب ابن زياد فقال: من هذا المتكلم؟

فقال: أنا المتكلم يا عدو الله، أتقتل الذرية الطاهرة التي قد أذهب الله عنها الرجس وتزعم أنك على دين الإسلام، واغوثاه أين أولاد المهاجرين والأنصار لا ينتقمون من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد رسول ربّ العالمين صلى الله عليه وآله.

قال الراوي: فازداد ابن زياد غضباً حتى انتفخت أوداجه وقال: عليّ به، فتبادرت إليه الجلاوزة من كل ناحية ليأخذوه، فقامت الأشراف من الأزد من بني عمّه فخلّصوه من أيدي الجلاوزة وأخرجوه من باب المسجد وانطلقوا به إلى منزله.

فقال ابن زياد: اذهبوا إلى هذا الأعمى أعمى الأزد أعمى الله قلبه كما أعمى عينه فأتوني به.

قال: فانطلقوا إليه، فلمّا بلغ ذلك الأزد اجتمعوا واجتمعت معهم قبائل اليمن ليمنعوا صاحبهم.

قال: فلمّا بلغ ذلك ابن زياد جمع قبائل مضر وضمّهم إلى محمد بن الأشعث وأمرهم بقتال القوم.

فاقتتلوا اقتتالاً شديداً، ووصل أصحاب ابن زياد إلى دار عبد الله بن

عفيـف فكسـروا البـاب واقتحمـوا عليـه، فصـاحت ابنتـه أتـاك القـوم مـن حيـث تحذر. فقال: لا عليك ناوليني سيفي، فناولته إياه فجعل يذب عن نفسه ويقول:

أنا ابن ذي الفضل عفيف الطاهر   عفيف شيخي وابن أم عامر

وجعلـت ابنتـه تقـول: يـا أبـت ليتنـي كنـت رجـلاً أخاصـم بـين يـديك اليـوم هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة.

وجعل القوم يدورون عليه من كلّ جهة، وكلّما جاؤوه من جهة قالت ابنته: يا أبتِ جاؤك من جهة كذا، حتى تكاثروا عليه وأحاطوا به، فما زالوا به حتى أخذوه.

ثم حُمل فأُدخل على ابن زياد.

فقال ابن زياد: يا عدوّ الله ما تقول في عثمان بن عفان؟

فقـال: يـا بـن مرجانـة، مـا أنـت وعثمـان بـن عفـان أسـاء أو أحسـن وأصـلح أم أفسـد، والله تبـارك وتعـالى ولـيّ خلقـه يقضـي بيـنهم وبـين عثمـان بالعـدل والحـق، ولكن سلني عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه؟

فقال ابن زياد: والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت غصّة.

فقال عبد الله بن عفيف: الحمد لله ربّ العالمين، أما إني قد كنت أسأل الله ربّي أن يرزقني الشهادة من قبل أن تلدك أمك، وسألت الله أن يجعل ذلك على يد ألعن خلقه وأبغضهم إليه، فلمّا كفّ عن بصري يأستُ من الشهادة، والآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها، وعرفّني الاجابة منه في قديم دعائي.

فقال ابن زياد: اضربوا عنقه، فضرب عنقه، وصلب في السبخة.[١]

السلام عليكم يا أولياء الله وأحبّاءه.

السلام عليكم يا أصفياء الله وأودّاءه.

نعم عشيرة الأزد أخذتهم الحميّة والغيرة على صاحبهم فنهضوا له.

---

(١) نفس المهموم.

مثل هذا الموقف كان لعشيرة بني رياح حيث نهضوا لصاحبهم الحر الرياحي فحملوا جثته.

أما الحسين عليه السلام فلا ناصر له ولا معين.

* * *

(٢٨)
الغلمان الصغار الذين استشهدوا

بين يدي الحسين عليه السلام:

أصحاب الحسين عليه السلام كان فيهم الشيخ الكبير الذي ناهز التسعين عاماً، وكان فيهم الشاب اليافع، وكان فيهم الغلام الصغير الذي لم يبلغ الحلم.

والغلمان الذين جاهدوا بين يدي الحسين عليه السلام واستشهدوا ثلاثة:

أحدهم: غلام من آل الحسين قتله هاني بن ثبيت الحضرمي.

روى العلامة المجلسي في البحار قال:

«خرج غلام من تلك الأبنية وفي أذنيه درّتان وهو مذعور، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وقرطاه يتذبذبان، فحمل عليه هاني بن ثبيت فقتله.

ويحدّث هاني بن ثبيت نفسه يقول: إني لواقف عاشر عشرة ليس منّا رجل إلا على فرس، و جالت الخيل وتصعصعت إذ خرج غلام من آل حسين عليه السلام وهو ممسك بعود من تلك الأبنية عليه إزار وقميص وهو مذعور يلتفت يميناً وشمالاً فكأني أنظر إلى درّتين في أذنه يتذبذبان كلمّا التفت، اذ أقبل إليه رجل يركض حتى إذا دنى منه مال عن فرسه ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف».

يقول الراوي: إنّ هاني بن ثبيت هو صاحب الغلام لكنه كنّى عن نفسه، والمؤرخون لا يذكرون من هو هذا الغلام الصغير في هذه الرواية.[1]

---

(١) إلا ان السيد المقرّم في كتابه مقتل الحسين يقول ان هذا الغلام هو محمد بن أبي سعيد بن عقيل ابن أبي طالب: ٣٥٣.

الثاني: عبد الله بن الحسن أخو القاسم بن الحسن عليه السلام، فقد روى الشيخ المفيد أنه لما سقط الحسين عليه السلام صريعاً خرج من عند النساء عبد الله بن الحسن ـ وهو غلام لم يراهق ـ يشتد حتى وقف إلى جنب الحسين عليه السلام، فلحقته زينب بنت علي لتحبسه، فقال لها الحسين عليه السلام:

«إحبسيه يا أختي، فأبى وامتنع عليها إمتناعاً شديداً، وقال: لا والله لا أُفارق عمّي، وأهوى أبجر بن كعب إلى الحسين عليه السلام بالسيف، فقال له الغلام:

ويلك يابن الخبيثة أتقتل عمي، فضربه أبجر بالسيف فاتقاها الغلام بيده فأطنّها إلى الجلدة فاذا يده معلّقة، فنادى الغلام: يا أبتاه، فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إلى صدره، وقال: يابن أخي اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير، فإن الله يُلحقك بآبائك الصالحين.

يقول الراوي: فرماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر عمّه الحسين عليه السلام.

والثالث:

غلام قُتِل أبوه في المعركة (المؤرخون لا يذكرون من هو هذا الغلام، لكن المحقق المحدّث الشيخ عباس القمي احتمل أن يكون هذا الغلام هو ابن مسلم بن عوسجة الاسدي)[1]... وكانت أمه معه، فقالت له أُمّه: إخرج يا بُني وقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج فقال الحسين عليه السلام: هذا شاب قُتِل أبوه ولعلّ أمه تكره خروجه، فقال الشاب: أُمي أمرتني بذلك، فبرز وهو يقول:

أميري حسين ونِعمَ الأمير	سرورُ فؤاد البشير النذير
عليّ وفاطمة والداه	فهل تعلمون له من نظير

وقاتل حتى قُتِل، واحتُزّ رأسه ورُمي بِه إلى عسكر الحسين عليه السلام، فحملت أُمّه رأسَه وقالت: أحسنتَ يا بُنّي يا سرور قلبي ويا قرة عيني...

---

(١) نفس المهموم: ٢٩٣.

(٢٩)
النساء اللواتي دفعن ذويهنّ للقتال بين يدي الحسين عليه السلام

شاركت المرأة في ثورة الحسين عليه السلام كما شارك الرجل.

ولم يكن دور النساء مقتصراً على فضح النظام الأموي وتعريته كما حدث في خطبة العقيلة زينب وأُم كلثوم في مجلس ابن زياد ومجلس يزيد.

وإنما شاركت مجموعة من النساء في دفع أزواجهنّ أو أولادهنّ للقتال بين يدي الحسين عليه السلام.

ويمكن أن نذكر ثلاثة من النساء دفعن ذويهنّ لنصرة الحسين عليه السلام.

أُولاهن: زوجة زهير بن القين، فقد كانت هي السبب في التحاق زهير بن القين بركب الحسين عليه السلام (تقدّمت القصة في الخطبة رقم ٨).

ثانيهنّ: أم وهب الكلبي، زوجها عبد الله بن عمير الكلبي.

يروي المؤرخون أنه برز اثنان من معسكر بن سعد فقالا: من يبارز؟ ليخرج إلينا بعضكم. فوثب حبيب بن مظاهر وبرير بن خضير، فقال لهما الحسين عليه السلام: أُجلسا. فقام عبد الله بن عمير الكلبي _ وكان رجلاً شديد الساعدين بعيداً ما بين المنكبين _ فقال: يا أبا عبد الله رحمك الله إئذن لي لأخرج إليهما.

فقال الحسين عليه السلام: «إني أحسبه للأقران قتّالاً، أخرج إن شئت».

فخرج إليهما فقالا: من أنت؟ فانتسب لهما، فقالا: لا نعرفك ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مظاهر أو برير بن خضير، فقال يخاطب المتحدث:

وبك رغبةٌ عن مبارزة أحدٍ من الناس ولا يخرج إليك أحدٌ من الناس إلاّ هو خير منك؟ ثمّ شدّ عليه فضربه بسيفه حتى برد _ أي مات _ وبينا هو مشتغل به إذ شدّ عليه الآخر فضربه فاتقاها الكلبي بيده اليسرى فأطار أصابع كفّه ثم مال عليه الكلبي فضربه حتى قتله، وعاد إلى الحسين عليه السلام وقد قتلهما

جميعاً، ولمّا عاد إلى القتال أخذت أم وهب امرأته عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمّد ﷺ.

هذه الإمرأة الصالحة لها موقف آخر من التضحية والفداء، وذلك أنه بعد مقتل زوجها (عبد الله الكلبي) برز ابنها وهب بن عبد الله الكلبي، فقالت له أُمه: قم يا بني فانصر ابن بنت رسول الله ﷺ فقال: أفعل يا أماه ولا أُقصّر. ثم حمل فلم يزل يقتل حتى قتل منهم جماعة، فرجع إلى أمه قائلاً: يا أماه أرضيت؟

فقالت: ما رضيت إلاّ وتقتل بين يدي الحسين عليه السلام.

ثالثهنّ: أما المرأة الثالثة فهي زوجة وهب بن عبد الله الكلبي، فقد كان لها موقف آخر من النصرة والفداء.

يقول المؤرخون: إنّ وهب لما رجع إلى أمّه قائلاً: أرضيت يا أماه؟ قالت امرأته: بالله لا تفجعني في نفسك، وكانت أمه تقول له: يا بني لا تقبل قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله فيكون غداً في القيامة شفيعاً لك بين يدي الله.

لكن هذا المرأة سرعان ما التحقت بزوجها لتدافع عن الحسين عليه السلام.

روى العلاّمة شرف الدين في (المجالس الفاخرة).[1]

إن وهب لما رجع يقاتل أخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: قاتل فداك أبي وأمي يا وهب دون الطيبين من حرم رسول الله ﷺ.

«فقال لها: كيف؟ كنت تنهينني عن القتال والآن تأمرينني به.

قالت: لا تلمني يا وهب فإني سمعت من سيدي ومولاي الحسين كلمة كسرت قلبي، سمعته يقول:

أما من ناصر فينصرنا؟

أما من موحدّ يخاف الله فينا؟

أما من ذابٍ يذبّ عن حرم رسول الله؟

---

(١) الصفحة: ١٤٨.

فأقبل زوجها كي يردّها إلى النساء، فأخذت بجانب ثوبه وقالت:

لن أعود حتى أموت معك.

فقال الحسين عليه السلام: «جُزيتم عن أهل بيتي خيراً، ارجعي إلى النساء رحمك الله».

وروى المؤرخون أن هذه الإمرأة كانت أول امرأة قتلت في عسكر الحسين عليه السلام، وذلك أنه لمّا قتل زوجها ذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه، فبصر بها شمر فأمر غلاماً له فضربها بعمود كان معه فقتلها.

نعم شاركت النساء في نصرة الحسين عليه السلام، ولكن ولا مثل جهاد العقيلة وصبرها حين وقفت على جسد أخيها الحسين عليه السلام قائلة: اللهم تقبّل منا هذا القربان.

* * *

وللعقيلة موقف آخر لما مروا بالنساء على أجساد القتلى، هنا العقيلة زينب خاطبت أخاها قائلة: «يابن أم لو خيّروني بين المقام عندك أو الرحيل عنك لاخترت المقام عندك، ولو كنت أعلم أنّ السباع تأكل من لحمي».

* * *

(٣٠)
مقتل عبد الله الرضيع عليه السلام

كان للحسين عليه السلام يوم الطف ثلاثة أولاد.

أحدهم: علي الأكبر وهو أول من استشهد من أهل بيت الحسين عليه السلام.

والثاني: هو علي السجاد وهو الأوسط على بعض الروايات.

والثالث: هو علي الأصغر وكان له من العمر عدّة شهور، وقد اختتم الحسين عليه السلام المعركة بشهادة ولده الرضيع.

* * *

أمـا كيفيـة شـهادة علـي الأصـغر فقـد روى المؤرخـون[١] أن الحسـين عليه السلام بعـد أن رأى مصـرع فتيانـه وأهـل بيتـه، ورأى القـوم مصـرّين علـى قتلـه، أقبـل إلـى القـوم يعِظهـم وقـد نشـر المصـحف الشـريف وجعلـه علـى رأسـه ونـاداهم: «بينـي وبيـنكم كتـاب الله، وجـدي محمـد رسـول الله صلى الله عليه وآله، يـا قـوم بـم تسـتحلون دمـي؟ ألسـت أنـا ابـن بنـت نبـيكم؟ ألـم يـبلغكم قـول جـدي فـيّ وفـي أخـي: «هـذان سـيدا شـباب أهـل الجنـة»، إن لـم تصـدّقوني فاسـألوا جـابراً وزيـد بـن أرقـم وأبـا سـعيد الخدري.

أليس جعفر الطيار عمي»؟

ولكن القوم أبوا أن يصغوا له، ويرتدعوا عن غيهّم.

فعـاد إلـى خيامـه، وإذا ولـده الرضـيع يبكـي عطشـاً، فأخـذه وأقبـل بـه إلـى القوم قائلاً:

«إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل».

وفـي روايـة[٢] إن الحسـين عليه السلام أقبـل إلـى أم كلثـوم يوصـيها بالرضـيع، فقالـت لـه: يـا أخـي اطلـب لـه شـربة مـن المـاء. فأخـذ الطفـل وتوجـه بـه نحـو القـوم وقـال: يـا قـوم قتلـتم أخـي وأولادي وأنصـاري ومـا بقـي غيـر هـذا الطفـل وهـو يتلظـى عطشـاً فاسـقوه شـربة مـن المـاء، فبينمـا هـو يخـاطبهم إذ أتـاه سـهم ذبحـه وهو بين يدي الحسين عليه السلام.

فجعل الحسين عليه السلام يتلقى الدم ثم يرمي به إلى السماء ويقول:

اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بي وباخوتي وولدي وأهلي.

* * *

(١) نفس المهموم.

(٢) مقتل أبي مخنف.

(٣١)
عبادات الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

يقول العلاّمة التستري في كتاب خصائص الحسين عليه السلام: إن الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كانت له مجموعة عبادات واجبة ومستحبة، ويعدد في عباداته المستحبة يوم عاشوراء:

١ _ سقي الماء.

٢ _ رد العادية وإغاثة الملهوف.

٣ _ عيادة المريض.

٤ _ تلاوة الذِّكر.

ثم يذكر العبادات القلبية للحسين عليه السلام يوم عاشوراء فيقول:

من جملة عباداته القلبية:

١ _ اليقين. حين كتب لأخيه محمد ابن الحنفيّة: «أمّا بعد فكأن الدنيا لم تكن وكأن الأخرة لم تزل».

٢ _ الرضى. حيث قال لما أراد الخروج من مكة: «كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا، رضى الله رضانا أهل البيت».

٣ _ الشجاعة. حيث يقول عبد الله بن عمار: «ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه، ولقد كان يحمل عليهم وقد تكاملوا نيفاً وثلاثين ألف فينهزمون من بين يديه كأنهم جراد منتشر».

٤ _ رقة القلب، وذلك كما في بكائه عند وداع القاسم.

٥ _ الصبر، حتى ورد في الزيارة:

«ولقد عجبت من صبره ملائكة السماء»

ولما توّسد الحسين عليه السلام التراب كان يناجي ربه قائلاً:

«صبراً على قضائك، لا معبود سواك، ياغياث المستغيثين...»

نعم:

غريبـاً أرى يـا غريـب الطفـوف	توسّـــد خليـــك كثبانهـــا

* * *

(٣٢)
موارد بكاء الحسين عليه السلام

يقول العلامة التستري في الخصائص: إن الحسين عليه السلام بكى في ستة موارد:

الأوّل: عنـد وداع ابنتـه سـكينة، فقـد بكـى بكـاءاً شـديداً ومسـح دموعـه بكمّه وهو يقول:

سـيطول بعـدي يـا سـكينة فـاعلمي	منـك البكـاء إذا الحمـام دهـاني
لا تحرقـي قلبـي بـدمعك حسـرة	مـادام منـي الـروح فـي جثمـاني
فـاذا قضـيت فأنـت أولـى بالـذي	تأتينـــه يـــا خيـــرة النســـوان

الثاني: حين وقف على جسد أخيه العباس، فقد بكى بكاءاً شديداً قائلاً:

«الآن انكسر ظهري، الآن قلّت حيلتي، الآن شمت بي عدوّي».

الثالث: لما برز القاسم بن الحسن، فقد اعتنقه وبكى حتى غشي عليه.

الرابع: لما وقف على جسد القاسم وهو صريع قائلاً:

«يعزّ على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك إجابته.

الخـامس: حـين بـرز علـي الأكبـر، فقـد أرخـى الحسـين عينيـه بالـدموع ودعـا ربه قائلاً:

«اللهـم اشـهد علـى هـؤلاء القـوم فقـد بـرز إلـيهم غـلام أشـبه النـاس خَلقـاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك...».

السـادس: حـين كـان يسـلّي اختـه العقيلـة زينـب عـن البكـاء، فقـد غلـب عليـه البكاء وقطرت من عينه قطرات.

نعم رجع الحسين عليه السلام إلى المخيّم منكسراً حزيناً يكفكف دموعه بكمّه وقد تدافعت الرجال على مخيمّه فنادى: «أما من مغيث يغيثنا، أما من مجير يجيرنا، أما من طالب حق ينصرنا، أما من خائف يخاف النار فيذبّ عنا».

فأتته سكينة وسألته عن عمّها فأخبرها بقتله، وسمعته زينب فصاحت: واأخاه واعباساه واضيعتنا بعدك، وبكين النسوة وبكى الحسين معهنّ وقال: واضيعتنا بعدك...

ومضى لمصرعه الحسين وقلبه	بين الخيام وبينه متقسّم
نادى وقد ملأ البوادي صيحة	صمّ الصخور لهولها تتهدّم
أخي من يحمي بنات محمّد	إن صرت يسترحمن من لا يرحم

* * *

(٣٣)

إجتماع الأضداد في الحسين عليه السلام

يقول العلامة التستري في الخصائص: إن الحسين عليه السلام اجتمعت فيه عدة متضادات يوم العاشر من المحرّم.

أوّلاً: كان كلما ازداد اضطرابه لشدّة المصاب كلما ازداد اطمئناناً بما يلقاه، وأشرق وجهه نوراً، كما ورد ذلك عن الإمام السجاد، حتى قال بعضهم لما رأى ذلك: انظروا كيف لا يبالي بالموت.

إذن فالحسين عليه السلام هو المضطرب الوقور.

ثانياً: وهو الباكي الصبور، فقد بكى الحسين عليه السلام وأرخى عينيه بالدموع في أكثر من مرة إلا أنه مع ذلك كان صابراً رابط الجأش، حتى قال عبد الله بن عمار وكان قد شهد المعركة: «مارأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه، ولقد كان يحمل عليهم وقد تكاملوا نيف وثلاثين ألفاً فيُهزمون من بين يديه كأنهم جرادٌ منتشر».

ثالثاً: وهو الساقي العطشان، من حيث أنه عليه السلام سعى في سقي الأطفال وطلب الماء لهم، وقد قدّم جواده حين وصل المشرعة، وهو من ناحية أخرى عطشان يطلب جرعة من الماء.

رابعاً: وهو المغيث والمستغيث، فإنّ كلّ واحد من أصحابه وأهل بيته إذا سقط صريعاً نادى: السلام عليك يا أبا عبد الله، فيأتي إليه الحسين عليه السلام ويغيثه، ولكن الحسين عليه السلام نفسه يطلب الناصر والمغيث قائلاً: ألا هل من ناصر، ألا هل من مغيث...

خامساً: والحسين عليه السلام هو المسلّي عن البكاء، فقد كان يسلّي العيال عن البكاء، ولكن الحسين عليه السلام هو نفسه سبب في البكاء.

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة لكنما عيني لأجلك باكية
تبتلّ منكم كربلا بدم ولا تبتلّ مني بالدموع الجارية

نعم، الحسين حقاً سبب في البكاء وهو يسلّي أهل بيته عن البكاء، ولهذا لما أقبلت إليه سكينة وضعها في حجره وأخذ يمسح على رأسها وهو يقول:

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة مادام مني الروح في جثماني
فإذا قضيت فأنت أولى بالذي تأتينه يا خيرة النسوان

* * *

(٣٤)
وقائع ليلة العاشر من المحرّم

هناك عدة مشاهد ووقائع جرت ليلة العاشر من المحرّم.

من جملة تلك الوقائع ما جاء في الإرشاد للشيخ المفيد، ومقاتل الطالبيين، كما رواه الطبري أيضاً وابن الأثير[1] قال: «قال علي بن الحسين عليه السلام: إنّي لجالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمتي

(١) نفس المهموم.

زينب تمرضني، إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يادهر أفٍ لك من خليل	كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل	والدهرُ لا يقنع بالقليل
وإنمّا الأمرُ إلى الجليل	وكلّ حيٍّ سالكٌ سبيلي

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها وعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل.

وأمّا عمتي زينب فإنها سمعت ما سمعت وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها _ وإنّها لحاسرة _ حتى انتهت إليه فقالت:

واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة، وأبي علي، وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمال الباقي.

فنظر إليها الحسين عليه السلام وقال لها: أخيّه لا يذهبنَّ بحلمك الشيطان، وترقرقت عيناه بالدموع وقال: لو تُرك القطا ليلاً لنام.

فقالت: يا ويلتاه أفتغتصب نفسك اغتصاباً فذاك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي، ثم لطمت وجهها وهوت إلى جيبها فشقّته وخرّت مغشيةً عليها.

فقام إليها الحسين عليه السلام فصبّ على وجهها الماء وقال لها:

يا أختاه، اتقي الله وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلاّ وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته، يبعث الخلق ويعيدهم وهو فرد واحد.

ثم قال عليه السلام: أبي خير مني، وأمي خيرٌ مني، وأخي خير مني، ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة.

فعزّاها بهذا ونحوه وقال لها:

يا أخيّة: إني أقسمت عليك فأبرّي قسمي، لا تشقّي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي بالويل والثبور إذا أنا هلكت.

* * *

(٣٥)

وقائع ليلة العاشر من المحرّم

من جملة ما ينقله المؤرخون في حوادث ووقائع هذه الليلة:[1]

أن الحسين عليه السلام خرج في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات، فتبعه نافع بن هلال الجملي، فسأله الحسين عليه السلام عمّا أخرجه؟

فقال: «يا ابن رسول الله أفزعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغي، فقال الحسين: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكنّاً لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون، ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع ويقول: هي هي والله وعدٌ لا خُلف فيه.

ثم قال: ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟ فوقع نافع على قدميه يقبّلهما ويقول: ثكلتني أمي، إنّ سيفي بألف وفرسي مثله، فوالله الذي منّ بك عليّ لا فارقتك حتى يكلاّ عن فري وجري.

ثم دخل الحسين عليه السلام خيمة زينب ووقف نافع بأزاء الخيمة ينتظره، فسمع زينب تقول له: هل استعلمت من أصحابك نياتهم، فإني أخشى أن يُسلموك عند الوثبة.

فقال لها: والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه.

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت، وأتيت حبيب بن مظاهر، وحكيت ما سمعت منه ومن أخته زينب.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ٢٦٥.

قال حبيب: والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة، قلت: إني خلّفته عند اخته وأظن النساء أفقن وشاركنها في الحسرة، فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجهوهنّ بكلام يطيّب قلوبهنّ؟

فقام حبيب ونادى: يا أصحاب الحمّية وليوث الكريهة: فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية، فقال لبني هاشم: ارجعوا إلى مقرّكم لا سهرت عيونكم.

ثم التفت إلى أصحابه وحكى لهم ما شهده وسمعه نافع، فقالوا بأجمعهم: والله الذي منّ علينا بهذا الموقف، لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة فطب نفساً وقرّ عيناً فجزّاهم خيراً.

وقال: هلمّوا معي لنواجه النسوة ونطيّب خاطرهنّ. فجاء حبيب مع أصحابه وصاح: يا معشر حرائر رسول الله هذه صوارم فتيانكم آلوا ألاّ يغمدوها إلاّ في رقاب من يريد السوء فيكم، وهذه أسنّة غلمانكم أقسموا ألاّ يركزوها إلاّ في صدور من يفرّق ناديكم.

فخرجن النساء إليهم ببكاء وعويل، وقلن: أيها الطيبون حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين.

* * *

(٣٦)

المرات التي خطب الحسين عليه السلام فيها أصحابه

لقد امتحن الحسين عليه السلام أصحابه وأخبرهم في أكثر من مرّة، ويذكر المؤرخون أنّ الركب الذي خرج مع الحسين عليه السلام أو التحق به في الطريق كان أكبر بكثير من العدد الذين استشهدوا معه، إلاّ أن كثيراً منهم كانوا قد تبعوا الحسين عليه السلام طلباً للعافية.

١ ـ لعلّ أول موضع امتحن الحسين عليه السلام فيه أصحابه واصطفى منهم الخلّص هو في موضع يقال له (زبالة) حين بلغه خبر مقتل مسلم وهانيء.

فقد أخرج الحسين عليه السلام كتاباً فقرأه عليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإنه قد أتانا خبرٌ فظيع، قتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف غير حرج، ليس عليه ذمام».

يقول المؤرخون: أنهم تفرقوا عنه وأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي معه القليل.

٢ _ والمرة الثانية التي خطب فيها أصحابه عند نزوله كربلاء.

فهنا جمع الحسين عليه السلام ولده وإخوته وأهل بيته ونظر إليهم وبكى وقال:

«اللهم إنّا عترة نبيّك محمّد قد أُخرجنا وطردنا وأزعجنا عن حرم جدّنا وتعدّت بنو أميّة علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين.

ثمّ أقبل عليه السلام على أصحابه وقال:

«الناس عبيد الدنيا، والدين لعقٌ على ألسنتهم يحوطونه مادرّت معائشهم، فاذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون».[1]

ثمّ حمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمد وآله وقال:

«أمّا بعد فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيّرت وتنكرّت وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلاّ صبابة كصبابة الأناء... إلى أن قال عليه السلام:

ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما».

٣ _ والمرة الثالثة التي خَطَبَ فيها البقية الباقية من أصحابه قرب المساء من يوم التاسع من محرّم الحرام، فقد قال عليه السلام فيما قال:

«ألا وإني أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم منّي ذِمام، وهذا الليل قد غشِيكم

---

(١) مقتل الحسين: ٢٣٢.

فآتخذوه جملاً، وليأخذ كلٌّ رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهلِ بيتي فجزاكم الله جميعاً خيراً وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم فإنّ القوم إنما يطلبونني، لو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري».[1]

٤ _ وآخر مرة خطب الحسين عليه السلام أصحابه صباح يوم العاشر من المحرّم، فقد صلّى بهم صلاة الصبح وقام فيهم خطيباً، حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«إن الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم، فعليكم بالصبر والقتال».

ولمّا وجد عليه السلام فيهم الاخلاص، وبذل المهج، والتفاني في سبيل الدين قال فيهم: «أمّا بعد فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي جميعاً».

* * *

وهناك موقف آخر للحسين، أو خطبة أخرى له مع أصحابه وهم صرعى.

فقد روى المؤرخون[2] أن الحسين جعل ينظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً من أنصاره، فنادى: «يا مسلم بن عقيل، ويا هاني بن عروة، ويا حبيب بن مظاهر، ويا زهير بن القين...يا أبطال الصفا، وفرسان الهيجا، مالي أناديكم فلا تجيبون، وأدعوكم فلا تسمعون، أنتم نيام أرجوكم تنتبهون، أم حالت مودّتكم عن إمامكم فلا تنصرونه، فهذه نساء الرسول لفقدكم قد علاهنّ النحول، فقوموا من نومتكم أيّها الكرام، وادفعوا عن حرم الرسول الطغاة اللئام، لكن والله صَرَعَكم ريبُ المنون، وغَدَرَ بكم الدهرُ الخئون، وإلاّ لما كنتم عن نصرتي تقصّرون، ولا عن دعوتي تحتجبون، فها نحن عليكم مفتجعون، وبكم لاحقون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون».

* * *

(١) مقتل الحسين عليه السلام: ٢٥٨.

(٢) العيون العبرى: الميانجي.

(٣٧)
وداع الحسين عليه السلام

أكثر من مرّة ودّع الحسين عليه السلام عياله وأطفاله.

الوداع الأوّل:

بعد مقتل قمر العشير أبي الفضل العباس عليه السلام.

فقد عاد الحسين عليه السلام إلى الخيام ونادى: يا سكينة، يا فاطمة، يا زينب، يا أم كلثوم عليكنّ مني السلام.

فنادته سكينة: يا أبه استسلمت للموت؟

«فقال: كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين.

فقالت: يا أبه ردّنا إلى حرم جدّنا.

فقال: هيهات، لو ترك القطا لنام، فتصارخن النساء فسكّتهنّ الحسين عليه السلام.

وأقبل الحسين عليه السلام على أم كلثوم قائلاً لها: أُوصيك يا أُخيّه بنفسك خيراً، وإني بارز إلى هؤلاء القوم، فأقبلت سكينة وهي صارخة فضمّها إلى صدره ومسح دموعها _ وكان يحبّها حباً شديداً.

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي ... منك البكاء إذا الحِمام دهاني

فاذا قُتلتُ فأنت أولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان

أما العقيلة زينب فقد نادت: واوحدتاه، واقلة ناصراه، واسوء منقلباه، ولطمت وجهها، فقال لها الحسين عليه السلام: مهلاً يا بنت المرتضى إن البكاء طويل...

وأراد أن يخرج من الخيمة فأحطن به النسوة يبكين فسكّتهنّ الحسين عليه السلام، ولصقت به العقيلة قائلة: مهلاً يا أخي توقف حتى أتزوّد من نظري، فهذا وداع لا تلاقي بعده.[1]

---

(١) العيون العبرى: السيد إبراهيم الميانجي.

وفي هذا الوداع طلب الحسين ثوباً عتيقاً يجعله تحت ثيابه لئلا يسلبه القوم، فأتته العقيلة بثوب فأخذه الحسين عليه السلام وخرّقه ومزّقه وجعله تحت ثيابه وودّعهنّ.

الوداع الثاني:

بعد أن برز الحسين عليه السلام للقتال، وقتل منهم مقتلة عظيمة حتى قال بعض الرواة: فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه، وإن كانت الرجال تشتدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، ولقد كان يحمل عليهم وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً فينهزمون بين يديه كأنهم الجراد المنتشر، ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول:

«لا حول ولا قوة إلاّ بالله».

فقال عمر بن سعد لمّا رأى ذلك:

«الويل لكم أتدرون لمن تقاتلون، هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب» وكانت الرماة أربعة آلاف، فرموه بالسهام فحالوا بينه وبين رحله. فصاح بهم الحسين عليه السلام:

«ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً» فناداه شمر: ما تقول يا بن فاطمة؟

قال: أقول أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً.

فقصده القوم وهو في ذلك يطلب شربة من ماء.

ثم عاد إلى عياله ثانية لوداعهنّ، فلمّا رأين النساء أن شيبته مخضبة بالدم صحن ولطمن وجوههنّ وقامت الضجّة بينهنّ، فقال الحسين: «مهلاً فإنّ البكاء أمامكنّ، وقال لهم: استعدّوا للبلاء، واعلموا أنّ الله حافظكم وحاميكم، وسينجيكم من شرّ الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلى خير».

الوداع الثالث:

أمّا الثالث فهو وداع خاص، وداع بالجسد وليس باللسان، وداع بالعمل وليس بالقول.

في هذا الوداع لم يعد الحسين عليه السلام إلى عياله وإلى خيمته، إنّما قصدته العقيلة زينب.

فقد روى أرباب المقاتل[١] أن الحسين عليه السلام لمّا سقط صريعاً خرجت العقيلة زينب من باب الفسطاط منادية: «وا أخاه واسيداه، واأهل بيتاه، ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل، ثم نادت: ويحكم أما فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحد بشيء، فالتفتت إلى عمر بن سعد قائلاً: ويحك يا عمر أيُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه»؟

لننظر كيف ودّعها الحسين؟

المعروف بين أهل المنبر أن الحسين لمّا سمع نداء العقيلة زينب، أراد أن يجيبها، أراد أن يغيثها، ولكن منعه عن ذلك نزف الدم، وشدة العطش، قام فسقط، قام فسقط، قام ثالثة فسقط.

الوداع الرابع:

ويمكن أن نذكر وداعاً رابعاً، في هذا الوداع الرابع العقيلة هي التي ودّعت الحسين، وهو صريع على الرمضاء.

وذلك لمّا مروا بالسبايا على أجساد الضحايا أرادت[٢] العقيلة أن ترمي بنفسها عليه، فناداها الإمام زين العابدين عليه السلام بصوت ضعيف:

«عمتّاه إرحمي ضعف بدني، إرحمي الجامعة في عنقي، ودّعي أخاك وأنت على ظهر الناقة».

---

(١) العيون العبرى: ١٨٤.

(٢) المجالس الفاخرة: ١٤١ نقلاً عن بعض المجموعات.

فجعلت تقول: ودّعتك السميع العليم يابن أمي، والله لو خيرّت المقام عندك والرحيل عنك لاخترت المقام عندك ولو أن السباع أكلت لحمي».

هذه زينب وبالأمس كانت   بفنى خدرها تحطّ الرحال

* * *

(٣٨)

سكينة بنت الحسين عليها السلام

إلتفت الحسين عليه السلام يوم عاشوراء إلى إبنته سكينة فرآها منحازة عن النساء باكية نادبة، فوقف عليها مصبراً مسلياً ولسان حاله يقول:

هذا الوداع عزيزتي والملتقى   يوم القيامة عند حوض الكوثر

فدعي البكاء وللأُسار تهيأي   واستشعري الصبر الجميل وبادري

الحسن المثنى يصف سكينة: «إن الإستغراق مع الله غالب عليها».

اعتنقت سكينة جسد أبيها الحسين بعد مقتله فكانت تحدّث أنها سمعته يقول:

شيعتي ما إن شربتم   عذب ماء فاذكروني

أو سمعتم بغريب   أو شهيد فاندبوني

ولم يستطع أحد أن ينحّيها عن الجسد حتى إجتمع عليها عدة وجروّها بالقهر.

سكينة هي أصغر من أختها فاطمة التي كانت تبلغ في كربلاء ٣٠ عاماً.

روي في بعض المقاتل أن الحسين عليه السلام لما نظر إلى قتلاه التفت إلى الخيمة ونادى: يا سكينة يا فاطمة يا زينب يا أم كلثوم عليكن مني السلام.

فنادته سكينة: يا أبه استسلمت للموت؟

فقال: كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين.

فقالت: يا أبه ردّنا إلى حرم جدّنا.

فقال: هيهات لو ترك القطا لنام.

روى أن الحسين عليه السلام لما عاد لوداع عياله أقبلت سكينة وهي صارخة وكان عليه السلام يحبها حباً شديداً، فضمّها الى صدره ومَسَح دموعها وقال:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي ... منك البكاء اذا الحمام دهاني

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ... ما دام مني الروح في جثماني

فإذا قُتلت فأنت أولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان

* * *

روى المجلسي في البحار أن سهل بن سعد لما رأى رأس الحسين في الشام رأى من ورائه نسوة على جمال بغير وطاء، قال: فدنوت من أُولاهم فقلت يا جارية من أنت؟

فقالت: أنا سكينة بنت الحسين.

فقلت لها: ألكِ حاجة إليّ فأنا سهل بن سعد ممّن رأى جدك وسمع حديثه.

قالت: يا سعد قل لصاحب هذا الرأس أن يقدّم الرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه ولا ينظروا إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال سهل: فدنوت من صاحب الرأس فقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ مني أربعمائة دينار. قال: ما هي؟ قلت: تقدّمِ الرأس أمام الحرم، ففعل ذلك، فدفعت إليه ما وعدته.

* * *

(٣٩)
مصرع الحسين عليه السلام[1]

لما لم يبق مع الحسين عليه السلام أحد من أصحابه وأهل بيته.

عاد إلى المخيمّ مودّعاً عياله وإخوانه، ثم قال:

---

(١) نفس المهموم.

«أبغوا لي ثوباً لا يرغب فيه أحد أجعله تحت ثيابي لئلا أُجرّد منه، فأُتي بتبان فقال: لا، ذاك لباس من ضربت عليه الذلة: فأخذ ثوباً خلقاً فخرقه وجعله تحت ثيابه».

ثم أنشد يقول:

فإن تكن الدنيا تعدّ نفسيةً ... فإن ثواب الله أعلى وأنبل

وإن تكن الأبدان للموت أُنشئت ... فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل

وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً ... فقلة سعي المرء في الكسب أجمل

فما بال متروك به المرء يبخل ... وإن تكن الأموال للترك جمعها

* * *

ثم أنه عليه السلام خطب القوم ووعظهم وقال فيما قال:

«بيني وبينكم كتاب الله وجدي محمد صلى الله عليه وآله رسول الله.

يا قوم بم تستحلّون دمي؟ ألست ابن بنت نبيكم؟

ألم يبلغكم قول جدي فيّ وفي أخي: «هذان سيدا شباب أهل الجنة».

* * *

ولمّا وجدهم مصممين على قتله، التفت يميناً وشمالاً فإذا فتيانه وأصحابه مضرّجين فنادى:

«هل من ذاب يذب عن حرّم رسول الله؟

هل من موحد يخاف الله فينا؟

هل من مغيث يرجو الله باغاثتنا؟

هل من معين يرجو الله في إعانتنا؟

* * *

ثم دعا الناس إلى البراز، فلم يزل يقتل كل من دنا منه حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، ثم حمل على الميمنة وهو يرتجز:

الموت خير من ركوب العار ... والعار أولى من دخول النار

ثم حمل على الميسرة وهو يقول:

أنــا الحســين بــن علــيّ — آليــــت ألاّ أنثنــــي

أحمــي عيــالات أبــي — أمضــي علــى ديــن النبــي

قـال بعـض الـرواة: «فـوالله مـا رأيـت مكثـوراً قـط قـد قُتـل ولـده وأهـل بيتـه وأصـحابه أربـط جأشـاً منـه عليه السلام، وإن كانـت الرجـال لتشـدّ عليـه فيشـدّ عليهـا بسـيفه فتنكشـف عنـه انكشـاف المعـزى إذا شـدّ فيهـا الـذئب، ولقـد كـان يحمـل فـيهم وقـد تكـاملوا ثلاثـين ألفـاً فينهزمـون بـين يديـه كـأنهم الجـراد المنتشـر، ثـم يرجع إلى مركزه وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم».

ولـم يـزل يقاتـل حتـى قتـل ألـف وتسـعمائة وخمسـين رجـلاً _ علـى روايـة سوى المجروحين.

فقال عمر بن سعد لقومه:

«الويل لكم أتدرون لمن تقاتلون؟

هذا ابن الأنزع البطين.

هذا ابن قتّال العرب.

فاحملوا عليه من كل جانب»

وكانت الرماة أربعة آلاف فرموه بالسهام فحالوا بينه وبين رحله.

* * *

(٤٠)
مصرع الحسين عليه السلام

لما حَمَل الحسين عليه السلام يريد الفرات كان على الشريعة أربعة آلاف رجل، كشفهم الحسين عليه السلام وأقحم الفرس على الفرات، فلما أولغ الفرس برأسه ليشرب قال الحسين عليه السلام: «أنت عطشان وأنا عطشان والله لا أذوق الماء حتى تشرب».

فلما سمع الفرس كلام الحسين عليه السلام امتنع عن شرب الماء وكأنه فهم الكلام.

فقال الحسين عليه السلام: «إشرب فأنا أشرب».

فمد الحسين عليه السلام يده فغرف من الماء، فناداه رجل:

يا أبا عبد الله أتلتذّ بشرب الماء وقد هُتكت حرمك، فنفض الماء من يده وحمل على القوم فكشفهم وإذا الخيمة سالمة.

* * *

ولما حمل القوم على خيام الحسين عليه السلام وحالوا بينه وبين رحله ناداهم:

«يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، فارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم أعراباً».

فناداه شمر: ما تقول يا ابن فاطمة؟

قال: أقول أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهنّ جناح فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً.

فقال الشمر: لك ذلك.

* * *

فحملوا عليه وهو في ذلك يقول:

أنا ابن علي الطهر من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخراً حين أفخر

وجدي رسول الله أكرم من مشى ... ونحن سراج الله في الخلق يزهر

وفاطم أمي من سلالة أحمد ... وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر

إلى أن يقول:

وشيعتنا في الناس أكرم شيعة ... ومبغضنا يوم القيامة يخسر

* * *

ثم أن الشمر لمّا نظر إلى كثرة من قتل منهم الحسين عليه السلام أقبل إلى ابن سعد وقال: أيها الأمير إن هذا الرجل يفنينا عن آخرنا مبارزة.

قال: كيف نصنع به؟

قال: نتفرق عليه ثلاث فرق، فرقة بالنبال والسهام، وفرقة بالسيوف والرماح، وفرقة بالنار والحجارة.

فجعلوا يرشقونه بالسهام، ويطعنونه بالرماح، ويضربونه بالسيوف حتى أثخنوه بالجراح.

* * *

وبينا هو في هذا الحال إذ رماه أبو الحتوف بسهم وقع في جبهته، فنزعه فسالت الدماء على وجهه ولحيته فقال:

اللهم إنك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة، اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بددا، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً».

ثم حمل عليهم ساعة حتى ضعف عن القتال.

* * *

فوقف يستريح، فبينا هو واقف إذ أتاه حجر فوقع في جبهته، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه فأتاه سهم محدّد مسموم له ثلاث شعب فوقع في صدره، فقال الحسين عليه السلام:

«بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله».

ورفع رأسه إلى السماء وقال:

«إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره».

ثم أخرج السهم من قفاه فانبعث الدم كالميزاب.

* * *

(٤١)
مصرع الحسين عليه السلام

لما ضعف الحسين عليه السلام عن القتال وقف يستريح ساعة إذ أتاه حجر وقع في

جبهته، فلما رفع الثوب ليمسح الدم أتاه سهم محدد مسموم له ثلاث شعب وقع في صدره، فأخرج السهم من قفاه فانبعث الدم كالميزاب. فوضع يده تحت الجرح فلما امتلأت دماً رمى به نحو السماء فما رجع من ذلك الدم قطرة، ثم وضع يده ثانية فلما امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته وقال: «هكذا أكون حتى ألقى جدي رسول الله وأنا مخضوب بدمي وأقول: يا رسول الله قتلني فلان وفلان».

* * *

وبينا هو في هذا الحال إذ طعنه صالح بن وهب على خاصرته فسقط الحسين عليه السلام عن فرسه إلى الأرض وهو يقول:

«بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله».

فخرجت العقيلة زينب منادية:

«واأخاه واسيداه وا أهل بيتاه، ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت عل السهل».

* * *

ثم إن الحسين عليه السلام رفع طرفه إلى السماء وقال:

«اللهم متعال المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة».

إلى أن قال:

«اللهم احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرّونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد صلى الله عليه وآله...».

إلى أن قال:

«صبراً على قضائك يا رب، لا إله سواك،يا غياث المستغيثين، مالي ربُ سواك، ولا معبود غيرك، صبراً على حكمك، يا غياث من لا غياث له، يا

دائماً لا نفاد له، يا محيي الموتى، يا قائماً على كل نفس بما كسبت احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين».

* * *

تركت الخلق طراً في هواكا	وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني بالحُب إرباً	لما مال الفؤاد إلى سواكا

روى هلال بن نافع:

«والله ما رأيت قط قتيلاً مضمخاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيبته عن الفكرة في قتله، فاستسقى في تلك الحال ماءاً فسمعت رجلاً يقول: والله لا تذوق الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها، فسمعته يقول: يا ويلك أنا لا أرد على الحامية ولا أشرب من حميمها، بل أرد على جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ...».

* * *

ورد في زيارة الناحية المقدسة:

«وأسرع فرسك شارداً، إلى خيامك قاصداً، محمحماً باكياً، فلما رأين النساء جوادك مخزياً، ونظرن سرجك عليه ملوياً، برزن من الخدور...».

* * *

(٤٢)
خروج العقيلة من الخيمة

العقيلة زينب هي مخدّرة بني هاشم، وهي بنت أمير المؤمنين عليه السلام، والتي ينقل الرواة أنها كانت إذا أرادت زيارة قبر جدّها أسرع أمير المؤمنين عليه السلام فأخمد الضياء لئلا يرى الناس شخصها.

نعم، العقيلة زينب لم تخرج يوم العاشر من المحرّم من خيمتها إلاّ في عدّة مواضع دعت إليها الضرورة، وفرضت عليها الحمّية الدينية ذلك.

الموضع الأوّل:

عند مصرع عليّ الأكبر عليه السلام، وذلك أنه لمّا سقط الأكبر وجاء إليه الحسين جلس عند رأسه ووضع خدّه على خدّه قائلاً: «على الدنيا بعدك العفا يا ولدي» هنا خرجت العقيلة زينب.. _ كما يروي الشيخ المفيد[1] _ مسرعةً تنادي:

«يا أخيّاه وابن أخيّاه، وجاءت حتى أكبّت عليه، فأخذ الحسين عليه السلام بيدها فردّها إلى الفسطاط.

أمّا لماذا خرجت العقيلة هنا؟ يقولون أنها كانت تخشى على الحسين إذا هو بقي مع ولده، لذا أرادت أن تشغله كما تواسيه أيضاً، وبالفعل فقد أسرع الحسين عليه السلام لإرجاعها وأمر فتيانه فقال: إحملوا أخاكم.

الموضع الثاني:

عند سقوط الحسين عليه السلام من على ظهر الجواد، واجتماع القوم عليه، فقد خرجت العقيلة إلى باب الفسطاط _ قبل مقتله عليه السلام _ ونادت عمر بن سعد: «ويحك يا عمر، أيُقتل أبو عبد الله وأنت تنظرُ إليه؟ فلم يجبها عمر بشيء، فنادت ويحكم أما فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحدٌ بشي».

يروي الطبري أنّ العقيلة لمّا قالت ذلك لابن سعد، قال الرواي: فكأني أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خدّيه ولحيته وصرف بوجهه عنها.

وفي رواية أخرى أن العقيلة خرجت منادية: «واأخاه، واسيداه، واأهل بيتاه ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل». هذا والحسين صريع على الأرض، ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ولكنّهم كان يتّقي بعضهم ببعض، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء ، فنادى شمر في الناس: ويحكم ما تنتظرون بالرجل؟ إقتلوه.

---

(١) نفس المهموم.

الموضع الثالث: بعد مقتل الحسين عليه السلام.

وفي هذا الموضع أقبلت العقيلة مع جمع الهاشميات إلى جسد الحسين عليه السلام وذلك بعد أن عاد جواد الحسين إلى الخيام معلناً عن مقتل الحسين عليه السلام.

ورد في الزيارة عن الناحية المقدّسة عليه السلام:

«وأسرع فرسُك شارداً، إلى خيامك قاصداً، مُحمحماً باكياً، فلمّا رأين النساء جوادك مخزيّاً، ونظرن سَرجه عليه ملوياً ،برزن من الخدور ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات، وبالعويل داعيات، وبعد العزّ مذللات، والى مصرعك مبادرات، والشمر جالسٌ على صدرك، مولغ سيفه في نحرك، قابض على شيبتك بيده، ذابح لك بمهنّده، قد سكنت حواسُّك، وخفيت أنفاسُك، ورُفع على القناة رأسُك...».

الموضع الرابع:

ويمكن أن نذكر موضعاً رابعاً لخروج العقيلة من خيمتها، وفي هذه المرة لم تخرج العقيلة باختيارها وإنما خرجت مرغمة، وهذا الموضع هو عندما أقبلوا بالنياق ليحملوا بنات الرسالة سبايا...هنا أيضاً خرجت العقيلة، لكن بأية حالةٍ:

وحائراتٍ أطار القوم أعينها ... رعباً غداة عليها خدرها هجموا

* * *

(٤٣)
الهجوم على مخيمات الرسالة

في الرواية[١] أنه لما سقط الحسين عليه السلام أقبل فرسه فوضع ناصيته في دم الحسين عليه السلام ثم أقبل يركض نحو خيمة النساء وهو يصهل ويضرب برأسه.

«والمعروف أن النساء كنّ بانتظار الحسين عليه السلام، فلما أبطأ عليهنّ قالت

(١) نفس المهموم.

واحدة: مالي لا أرى لابن أمي شخصاً، ولا أسمع له صوتاً، قالت الثانية: لعل الخيل حالت بيننا وبينه.

فقالت العقيلة: حاشا ابن امي أن تضمّه خيل أو رجال».

وبينا هنّ كذلك إذ أقبل جواد الحسين، فلما رأين الجواد بتلك الحالة رفعن أصواتهنّ بالبكاء والنحيب.

أما أم كلثوم فنادت: وامحمداه، واجداه، وانبياه، واأبا الناس واعلياه، واجعفراه، واحمزتاه، واحسناه، هذا حسين بالعراء، صريع بكربلاء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء ».[1]

أما العقيلة زينب فقد نادت:

«يا محمداه، صلى عليك مليك السماء، هذا حسين مرمل بالدماء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا.

يا محمداه، هذا حسين بالعراء، تسفى عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا، واحزناه واكرباه.

اليوم مات جدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

يا أصحاب محمداه هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا».[2]

ونادت:

«بأبي من أضحى عسكره في يوم الاثنين نهباً، بأبي من فسطاطه مقطع العرى، بأبي من لا غائب فيرتجى ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفداء،بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شيبته تقطر بالدما، بأبي من جدّه محمد المصطفى، بأبي من جده رسول إله السما».

قال الراوي: «فأبكت والله كل عدو وصديق».

---

(١) نفس المهموم.

(٢) نفس المهموم.

ثم أنهم هجموا على مخيمات الرسالة، يقول الراوي: تسابق القوم على نهب بيوت آل الرسول، وقرة عين البتول، حتى جعلوا ينتزعون ملحفة المرأة عن ظهرها.

روى حميد بن مسلم:

رأيت امرأة من بني بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلما رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام فسطاطهنّ وهم يسلبونهنّ أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط وقالت:

يا آل بكر: أتُسلب بنات رسول الله، لا حكم إلاّ لله، ويالثارات رسول الله. فأخذها زوجها وردها إلى رحله.[1]

يقول حميد بن مسلم:

«والله لقد كنت أرى المرأة من نسائه وبناته وأهله تنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه».

* * *

ثم إن النساء أقبلن إلى جسد الحسين عليه السلام.

أمّا سكينة فقد ألقت بنفسها على الجسد الشريف.

فقال عمر بن سعد: نحوّها عن جسد أبيها، فاجتمع عليها عدّة حتى جروها من جسد أبيها.

قالت سكينة:

لما قتل الحسين عليه السلام اعتنقته فأغمي عليّ فسمعته يقول:

شيعتي ما إن شربتم ... عذب ماء فاذكروني

أو سمعتم بغريب ... أو شهيد فاندبوني[2]

فأنا البسط الذي من غير ذنب قتلوني ... وبجرد الخيل بعد القتل عمداً سحقوني

(١) نفس المهموم.

(٢) نفس المهموم.

(٤٤)
حوادث السلب

وكم حرة حسرى بدت من خِباً لها ... وليس لديها ساتر غير مرفق
وكم طفلة قد أرهبوها بقسوة ... وما عودت من قبل غير الترقرق

لما قتل أبو عبد الحسين عليه السلام مال الناس على ثقله ومتاعه وإنتهبوا ما في الخيام، واحزموا النار فيها، وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول صلى الله عليه وآله ففرت بنات الزهراء عليها السلام حواسر مسلّبات باكيات، وإن المرأة لتُسلب مقنعتها من رأسها وخاتمها من إصبعها وقرطها من أُذنيها والخلخال من رجلها.

وأخذ رجل قرطين لأم كلثوم وخرم أذنها.

وجاء آخر إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام فانتزع خلخالها وهو يبكي، قالت له: ما لك؟

فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب إبنة رسول الله؟

قالت: دعني.

قال: أخاف أن يأخذه غيري.

ورأت رجلاً يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن بعضهن ببعض وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة، ولما بصر بها قصدها ففرت منه فأتبعها رمحه فسقطت لوجهها مغشياً عليها، ولما أفاقت رأت عمتها أم كلثوم عند رأسها تبكي.

* * *

نظرت امرأة من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها إلى بنات رسول الله بهذا الحال فصاحت يا آل بكر بن وائل أتُسلب بنات رسول الله؟ لا حكم إلا لله يالثارات رسول الله، فردّها زوجها إلى محلّها.

* * *

وأقبل ابن سعد إلى النساء، فلما رأينه بكين في وجهه فمنع القرم عنهّن وقد أخذوا ما عليهن ولم يردوا شيئاً.

فغدت بين أيدي القوم حاسرة تسبى وليس لها من فيه تعتصم

* * *

(٤٥)

سبايا آل الرسول ﷺ

حوادث السبي في الطريق:

لما حملوا بنات الرسالة سبايا في اليوم الحادي عشر من المحرم، قالت النساء:

«بحق الله إلاّ مامررتم بنا على مصرع الحسين عليه السلام».

فمروا بهنّ على مصارع قتلاهنّ، فلما نظرن إليهم صحن وبكين ولطمن الوجوه، أما العقيلة زينب فقد نادت:

يا محمداه، هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء ومقطع الأعضاء، وبناتك سبايا».

* * *

يقول الراوي: إن النساء جلسن عند جسد الحسين عليه السلام فلم يقمن، فأقبل إليهن زجر بن قيس وصاح بهنّ وأخذ يضربهنّ بالسوط، واجتمع عليهن الناس حتى أركبوهم على الجمال.(١)

يقول الإمام السجاد عليه السلام لما سُئل عن حمل يزيد له:

«حملني على بعير يطلع، بغير وطاء، ورأس الحسين عليه السلام على علم، ونسوتنا خلفي على بغال واكفة، والفارطة خلفنا وحولنا بالرماح.

إن دمعت من أحدنا عين قرع رأسه بالرمح».(٢)

(١) مقتل الحسين: المقرم.

(٢) نفس المهموم.

(٤٦)
حوادث السبي

خطبة العقيلة زينب لأهل الكوفة:

لما وصلت قافلة سبايا آل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكوفة اجتمع أهلها للنظر إليهم.

أشرفت امرأة من الكوفيات فقالت:

«من أيّ الأسارى أنتم؟

فقلن: نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله، فنزلت المرأة من سطحها فجمعت لهنّ ملاء وأزراً ومقانع وأعطتهنّ فتغطين.

أما العقيلة زينب فقد أومأت إلى الناس بالسكوت فسكتوا.

يقول الراوي ـ بشير بن خزيم الأسدي ـ.

«لم أر والله خفرة أنطق منها كأنها تنطق وتفرغ على لسان أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد أشارت إلى الناس بأن انصتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس».

فحمدت الله وأثنت عليه وصلّت على النبي وآله ثم قالت:

«أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر والخذل، ألا فلا رقأت العبرة ولا هدأت الزفرة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً...

إلى أن قالت...

ألا ساء ما قدمتم لأنفسكم وساء ما تزرون ليوم بعثكم، فتعساً تعساً، ونكساً نكساً، لقد خاب السعي وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

أتدرون ويلكم أيّ كبدٍ لمحمد ﷺ فريتم، وأي عهد نكثتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي حرمة له هتكتم، وأي دم له سفكتم، لقد جئتم شيئاً إداً، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشقّ الأرض وتخر الجبال هدا...

ثم أنشأت تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم	ماذا صنعتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأولادي وتكرمتي	منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان ذاك جزائي إذ نصحت لكم	أن تخلفوني سوءً في ذوي رحمي
إني لأخشى عليكم أن يحلّ بكم	مثل العذاب الذي أودى على إرم

فالتفت إليها زين العابدين عليه السلام وقال:

«يا عمة اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلَّمة فهمة غير مفهَّمة، إن البكاء والحنين لا يردّان من قد أباده الدهر».[1]

* * *

ثم إن أهل الكوفة صاروا يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمرة والخبر والجوز، فصاحت أم كلثوم: يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض.

* * *

بينا هن في هذا الحال إذ أقبلوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام، فلما نظرت إليه العقيلة زينب لطمت جبينها بمقدم المحمل حتى خرج الدم من تحت قناعها، وأومأت إليه تقول:

يا هلالاً لما استتم كمالا	غاله خسفه فأبدى غروباً[2]

* * *

---

(١) نفس المهموم.
(٢) نفس المهموم.

(٤٧)
حوادث السبي

في مجلس ابن زياد:

روى الشيخ المفيد رحمه الله:

لما أُدخلت عيالات الحسين عليه السلام على ابن زياد في مجلسه، كانت العقيلة زينب متنكرة وقد حفت بها إماؤها، فمضت حتى جلست في ناحية القصر.

فقال ابن زياد: من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها؟

فلم تجبه زينب.

فأعاد ثانية وثالثة يسأل عنها.

فقال له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأقبل عليها ابن زياد وقال لها:

الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أُحدوثتكم.

فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وطهّرنا من الرجس تطهيراً، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله.

فقال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن يكون الفلج يومئذ ثكلتك امك يا بن مرجانة.

قال الراوي: فغضب ابن زياد وكأنه همّ بها.

فقال له عمر بن حريث: أيها الأمير إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيءٍ من منطقها ولا تذم على خطابها.

* * *

ثـم إن ابـن زيـاد وضـع رأس الحسـين بـين يديـه وأخـذ ينكتـه بقضـيب، فقـام إليـه رجـل وقـال: إنـي رأيـت رسـول الله ﷺ يلـثم حيـث تضـع قضـيبك، فقـال ابـن زياد: يوم بيوم بدر.

* * *

ثم التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين عليه السلام قال: من هذا؟

فقيل: علي بن الحسين.

فقال: أليس قد قتل الله عليا؟

فقال: كان لي أخ يقال له علي بن الحسين قد قتله الناس.

فقال ابن زياد: بل قتله الله.

فقال علي عليه السلام: الله يتوفى الأنفس حين موتها.

فقـال ابـن زيـاد: ويـك جـرأة علـى ردّ جـوابي؟ خـذوه فاضـربوا عنقـه، فسـمعت بـه عمتـه زينـب فتعلقـت بـه وقالـت: يـابن زيـاد حسـبك مـن دمائنـا إنـك لـم تُبق منا أحداً، فإن كنت قد عزمت على قتله فاقتلني قبله.

فنظـر ابـن زيـاد إليهـا وإليـه سـاعة ثـم قـال: عجبـاً للـرحم، والله إنـي لأ ظنهـا ودّت أني قتلتها معه.

* * *

ثم إن ابن زياد أمر برأس الحسين عليه السلام أن يطاف به في سكك الكوفة.

يقول زيد بن أرقم:

مـرّ بـي رأس الحسـين عليه السلام وأنـا جـالس فـي غرفـة وهـو علـى رمـح طويـل فسـمعته يقـرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾[1] فقفّ له شعري وجلدي وناديت:

(١) الكهف: ٩.

يا بن رسول الله رأسك أعجب.

وحائرات أطار القوم أعينها رعباً غداة عليها خدرها هجموا

أما زوجة الحسين الرباب فإنها لم تتمالك دون أن وقعت على الرأس تقبّله وقالت:

إن الذي كان نوراً يستضاء به بكربلاء قتيل غير مدفون

سبط النبي جزاك الله صالحة عنا وجُنّبت خسران الموازين

قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسائلين ومن يعنى ويأوي إليه كل مسكين(١)

* * *

(٤٨)

حوادث السبي

المعترضون على يزيد:

أربعة اعترضوا على يزيد حين أُدخلت سبايا آل الرسول إلى مجلسه، وكان قد وضع الرأس الشريف بين يديه يضربه.

أحدهم:

رسول ملك الروم، فقد سأل يزيد قائلاً: يا ملك العرب هذا رأس من؟

فقال له يزيد: مالك ولهذا الرأس؟

فقال: إني إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كل شيء رأيته، فأحببت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه حتى يشاركك في الفرح والسرور.

فقال يزيد: هذا رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب.

فقال الرومي: ومن أمُّه؟

---

(١) مقتل الحسين: المقرم.

فقال: فاطمة بنت رسول الله.

فقال النصراني: أفٍ لك ولدينك، لي دين أحسن من دينكم، إن أبي من أحفاد داود عليه السلام وبيني وبينه آباء كثيرة والنصارى يعظموني ويأخذون من تراب قدمي تبركاً بأني من احفاد داود عليه السلام وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله، وما بينكم وبين نبيكم إلاّ أم واحدة فأي دين دينكم؟

ثم ذكر له حكاية تعظيم النصارى لحافر حمار يزعمون أنه حمار كان يركبه عيسى عليه السلام.

وقال: وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم، فلا بارك الله تعالى فيكم ولا في دينكم.

فقال يزيد: اقتلوا هذا النصراني لئلا يفضحني في بلاده.

فلما أحس النصراني بذلك قال له: أتريد أن تقتلني؟

قال: نعم.

قال: اعلم أني رأيت البارحة نبيكم في المنام يقول: يا نصراني أنت من أهل الجنة فتعجبت من كلامه، وانا الآن أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. ثم وثب إلى رأس الحسين عليه السلام فضمه إلى صدره وجعل يقبّله ويبكي حتى قتل رضوان الله عليه.

* * *

والثاني:

هند زوجة يزيد بن معاوية، فإنه لما أُدخل السبايا إلى مجلس يزيد، وأمر يزيد بالرأس أن يُصلب على باب الدار، أقبلت هند على مجلس يزيد فهتكت سترها، وشقّت ثيابها وقالت:

يا يزيد أرأس ابن فاطمة بنت رسول الله مصلوب على فناء داري؟

فوثب إليها يزيد فغطاها وقال: نعم فاعولي عليه يا هند وابكي على ابن بنت رسول الله وصريخة قريش، عجّل عليه ابن زياد لعنه الله فقتله قتّله الله.

والثالث:

رجل من أهل الشام.

هذا الرجل لما نظر إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام.

قال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية.

فلاذت فاطمة بعمتها زينب، فالتفتت العقيلة إلى ذلك الشامي وقالت:

كذبت والله ولؤمت، والله ماذاك لك ولا له.

فغضب يزيد فقال: والله إن ذلك لي، ولو شئت أن أفعل لفعلت.

قالت: والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغيرها، فاستطار يزيد غضباً وقال: إياي تستقبلين بهذا، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك.

فقالت العقيلة: بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وجدك وأبوك إن كنت مسلماً.

فقال: كذبت يا عدوة الله.

هنا رقّت العقيلة زينب وليس معها أحد من حماتها وإخوتها.

فقالت: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك.

ثم عاد الشامي يقول: يا أمير هب لي هذه الجارية.

فقال له يزيد: أعزب وَهَبَ الله لك حتفاً قاضياً.

وفي رواية أخرى: إن الشامي لما سمع حديث العقيلة زينب سأل:

من هذه الجارية؟

فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين، وتلك زينب بنت علي، فقال الشامي: الحسين ابن فاطمة وعلي بن أبي طالب؟

قال: نعم.

فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد، أتقتل عترة نبيك وتسبي ذريته، والله ما توهمت إلا أنهم سبي الروم.

فأمر به يزيد فضربت عنقه.

والرابع:

أبو برزة الأسلمي، فإنه قال:

ويحك يا يزيد أتنكث بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة، أشهد لقد رأيت النبي ﷺ يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن ويقول:

إنهما سيدا شباب أهل الجنة، فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعدّ له جهنم وساءت مصيراً.

قال الراوي: فغضب يزيد فأمر باخراجه فأُخرج سحباً.

* * *

(٤٩)

حوادث السبي

خطبة الإمام السجاد عليه السلام في مجلس يزيد:

روى العلاّمة المجلسي في البحار أنه:

لما أُدخلت السبايا ومعهنّ زين العابدين عليه السلام مجلس يزيد بن معاوية استأذن الإمام السجاد في الكلام، فأبى يزيد عليه ذلك.

فقال الناس: يا أمير المؤمنين ائذن له فليصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئاً، ومازالوا به حتى أذن له.

فصعد عليه السلام المنبر، وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله إلى أن قال:

«أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أُعرفه بحسبي ونسبي.

أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولبى، أنا ابن من أسري به إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى أنا

ابـن مـن أوحـى إليـه الجليـل مـا أوحـى، أنـا ابـن الحسـين القتيـل بكـربلاء، أنـا ابـن علـي المرتضـى، أنـا ابـن محمـد المصـطفى، أنـا ابـن فاطمـة الزهـراء، أنـا ابـن سـدرة المنتهـى، أنـا ابـن شـجرة طـوبى، أنـا ابـن المرمـل بالـدماء، أنـا ابـن مـن بكـى عليـه الجن في الظلما، أنا ابن من ناحت عليه الطيور في الهواء».

فلما بلغ كلامه عليه السلام إلى هذا الموضع ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد لعنه الله أن تكون فتنة فأمر المؤذن أن يؤذّن للصلاة، فلما قال المؤذن:

الله اكبر.

قال الإمام: نعم، الله اكبر وأعلى وأجل وأكرم مما أخاف وأحذر.

فلما قال: أشهد ألاّ إله إلا الله.

قـال عليه السلام: نعـم، أشـهد مـع كـل شـاهد وأحتمـل علـى كـل جاهـد أن لا إلـه غيره ولا ربّ سواه.

فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله.

قال الإمام: يا يزيد هذا الرسول جدي أم جدك؟

فـإن قلـت أنـه جـدك يعلـم العـالمون أنـك كـاذب، وإن قلـت أنـه جـدي، فلـم قتلت أبي ظلماً وانتهبت ماله وسبيت نساءه؟

فوقع بين الناس زمزمة عظيمة.

* * *

وروى السيد ابن طاووس:

خـرج الإمـام زيـن العابـدين يومـاً يمشـي فـي أسـواق دمشـق، فاسـتقبله المنهال بن عمرو فقال: كيف أمسيت يا بن رسول الله؟

قـال: أمسـينا كمثـل بنـي إسـرائيل فـي آل فرعـون يـذبّحون أبنـاءهم ويستحيون نساءهم.

يـا منهـال، أمسـت العـرب تفتخـر علـى العجـم بـأن محمـداً صلى الله عليه وآله عربـي،

وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً ﷺ منها، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مغصوبون مقتولون مشردون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون مما أمسينا فيه يا منهال.

* * *

ألا ليت أمي لم تلدني ولم يكن　　يراني يزيد في البلاد أسير
أُقاد ذليلاً في دمشق كأنني　　من الزنج عبدٌ غاب عنه نصير
وجدي رسول الله في كل مشهد　　وشيخي أمير المؤمنين أمير

* * *

وهناك مشهد آخر في الشام يرويه سهل بن سعد وهو ممن صحب رسول الله ﷺ، يقول سهل: لما أُدخلت الرؤوس والسبايا إلى الشام دنوت إلى جارية فقلت: يا جارية من أنت؟ قالت: أنا سكينة بنت الحسين.

قلت لها: ألك حاجة إليّ فأنا سهل بن سعد ممن رأى جدك وسمع حديثه.

قالت: يا سهل قل لصاحب هذا الرأس أن يقدّم الرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه ولا ينظروا إلى حرم رسول الله ﷺ.[١]

* * *

(٥٠)
الدفن

يقول الشيخ عباس القمي:

«إعلم أنه قد ثبت في محلّه أنه لا يلي أمر المعصوم إلاّ المعصوم وإن الإمام لا يغسلّه إلاّ الإمام، ولو قبض إمام في المشرق وكان وصيّه في المغرب لجمع الله بينهما».

هناك عدة روايات في كيفية دفن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل

(١) نفس المهموم: ٤٣١.

بيته، إلاّ أن المشهور أن الإمام السجاد عليه السلام هو الذي تولى دفن الإمام الحسين عليه السلام ومشاركة بنو أسد في دفن الباقين.

ويمكن الإستشهاد لذلك برواية العلامة المجلسي في البحار عن رجال الكشي عن الإمام الرضا عليه السلام في احتجاجه على الواقفة الذين نفوا إمتداد الإمامة إلى الإمام موسى بن جعفر.

قال له علي بن أبي حمزة: إنّا روينا عن آبائك عليهم السلام أن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله.

فقال له الإمام الرضا عليه السلام: فاخبرني عن الحسين عليه السلام كان إماماً أو غير إمام؟

قال: كان إماماً.

فقال له: فمن ولي أمره.

فقال: علي بن الحسين عليه السلام.

فقال: وأين كان علي بن الحسين.

قال: كان محبوساً بالكوفة عند إبن زياد ولكنه خرج وهم لا يعلمون به حتى ولي أمر أبيه ثم انصرف.

فقال الرضا عليه السلام: إن من مكّن علي بن الحسين عليه السلام أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه ثم ينصرف يمكّن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه وليس هو في حبس ولا أسار.

* * *

ذكر أهل التاريخ أن سيد الشهداء أفرد خيمةً في حومة الميدان، وكان يأمر بحمل من قتل من صحبه وأهل بيته إليها، وكلما يؤتى بشهيد يقول عليه السلام قتلةٌ مثل قتلة النبيين وآل النبيين.

إلاّ أخاه العباس عليه السلام تركه في محل سقوطه قريباً من شط الفرات.

روى المسعودي في إثبات الوصيّة أنه في اليوم الثالث عشر من المحرم أقبل الإمام زين العابدين لدفن أبيه الشهيد.

ولما أقبل وجد بني أسد مجتمعين عند القتلى متحيرين لا يدرون ما يصنعون ولم يهتدوا إلى معرفتهم وقد فرّق القوم بين رؤوسهم وأجسادهم.

فأخبرهم عليه السلام بما جاء إليه وأوقفهم على أسماء القتلى وسالت الدموع منهم كل مسيل، ونشرت الأسَديّات الشعور ولطمن الخدود.

ثم مشى عليه السلام إلى جسد أبيه وإعتنقه وبكى بكاءاً عالياً وإلى موضع القبر ورفع قليلاً من التراب فبان قبر محفور وضريح مشقوق، فبسط كفيّه تحت ظهره وقال:

«بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله، صدق الله ورسوله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلاّ بالله العظيم».

وأنزله وحده ولم يشاركه بنو أسد، وقال لهم:

إن معي من يعينني، ولما أقرّه في لحده وضع خدّه على منحره الشريف قائلاً:

«طوبى لأرض تضمّنت جسدك الطاهر، فإن الدنيا بعدك مظلمة والآخرة بنورك مشرقة، أما الليل فمسهّد والحزن سرمد أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم وعليك مني السلام يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته».

وكتب على القبر: «هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً».

ثم مشى إلى عمّه العباس فرآه بتلك الحالة، فوقع عليه يلثمه قائلاً:

«على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم، وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته».

وشق له ضريحاً وأنزله وحده كما فعل بأبيه الوصي، وقال لبني أسد إن معي من يعينني.

ثم أمر بني أسد أن يحفروا حفرتين، وضع في الأولى بني هاشم وفي الثانية الأصحاب.

وكان أقرب الشهداء إلى الحسين عليه السلام ولده الأكبر عليه السلام.

* * *

(٥١)

خطبة العقيلة في مجلس يزيد

روى المؤرخون أن السبايا لما وصلوا الشام أوقفوا على باب الشام ثلاثة أيام حتى يزينوا البلاد، وخرج الناس بألوان الثياب والكحل والخضاب.

فأتاهم شيخ من شيوخ أهل الشام فقال:

«الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وقطع قرون الفتنة».

فلما انقضى كلامه قال له الإمام السجاد:

أما قرأت كتاب الله عز وجل؟

قال: نعم.

قال: أما قرأت هذه الآية ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾؟[1]

قال: بلى.

قال: فنحن أولئك.

ثم قال عليه السلام: أما قرأت ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ﴾؟[2]

قال: بلى.

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الروم: ٣٨.

قال: فنحن هم، فهل قرأت هذه الآية ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ...﴾؟[(١)]

قال: بلى.

قال: فنحن هم.

فرفع الشامي يده إلى السماء ثم قال: اللهم إني أتوب إليك ثلاث مرّات اللهم إني أبرء إليك من عدو آل محمد ومن قتلة أهل بيت محمد.[(٢)]

ثم إنهم أدخلوا الرؤوس والسبايا على يزيد لعنه الله _ ووُضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه، فأقبل ينكثه بالقضيب ويقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

* * *

وكان عنده أبو برزة الأسلمي فقال له:

يا يزيد ارفع قضيبك، فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّل ثناياه.[(٣)]

والتفتت فاطمة بنت الحسين عليه السلام قائلة:

يا يزيد بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا!؟، فبكى الناس حتى علت الأصوات، ثم تكلم علي بن الحسين عليه السلام قائلاً: ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله لو رآني في غل؟ فقال لمن حوله: حلّوه.

أما العقيلة، زينب فإنها قامت وقالت بعد حمد الله والصلاة على رسوله وآله: ﴿ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساء السُّوء أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ﴾.[(٤)]

---

(١) الأحزاب: ٣٣.
(٢) نفس المهموم.
(٣) نفس المهموم.
(٤) الروم: ١٠.

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً، فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله عزّ وجلّ ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.(١)

أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههنّ القريب والبعيد والدني والشريف، ليس معهنّ من رجالهنّ ولا من حماتهنّ حمي...

«فإلى الله المشتكى وعليه المعوّل، فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلاّ عدد، وجمعك إلاّ بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين».

* * *

هذا ورأس الحسين عليه السلام موضوع في طست من ذهب ويزيد يضرب بالعود على ثناياه.

هناك مشهد آخر لواحدة من بنات الحسين عليه السلام لها من العمر أربع سنوات _ رواه العلاّمة البهائي يقول:

إن نساء أهل بيت النبوة أخفين على الأطفال شهادة آبائهم وقلن لهم: إن آباءكم قد سافروا، وكان الحال على ذلك المنوال، وكان للحسين عليه السلام بنت صغيرة لها أربع سنين قامت ليلة من منامها وقالت:

---

(١) آل عمران: ١٧٨.

«أين أبي الحسين عليه السلام فإني رأيته الساعة في المنام، فلما سمع النسوة ذلك بكين وبكى معهنّ سائر الأطفال وارتفع العويل، فلما وصل الحال إلى يزيد سأل ما الخبر؟

فأخبروه بالحال: فأمر أن يذهبوا برأس الحسين عليه السلام إليها، فجاؤوا بالرأس الشريف مغطىً بمنديل ووضع بين يديها، فلما رأته احتضنته قائلة:

يا أبتاه من الذي خضبّك بدمائك؟

يا أبتاه من الذي قطع وريدك؟

يا أبتاه من الذي أيتمني على صغر سني؟

يا أبتاه من بقي بعدك نرجوه؟

يا أبتاه من لليتيمة حتى تكبر؟

ثم إنها وضعت فمها على فمه الشريف وبكت بكاءاً شديداً حتى أُغمي عليها، فلما حركوها فإذا هي قد فارقت روحها الدنيا.[١]

* * *

(٥٢)

دفاعات العقيلة عن الإمام السجاد عليه السلام

رغم كل المصائب التي ألمّت بالعقيلة زينب الكبرى، ورغم مسؤوليتها عن جمع العيال والأطفال وتوزع همومها وتشتت بالها إلاّ إنها كانت تمارس مع ذلك دوراً هاماً في الدفاع عن الإمام السجاد عليه السلام وهي رابطة الجأش، قوية القلب، لإدراكها أنه حجة الله الباقية.

* * *

في عدة مرّات قامت بهذا الدور:

---

(١) نفس المهموم: ٤٥٦.

المرة الأولى: بعد مقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، فإن علي بن الحسين عليه السلام حينما نظر إليهم وهم قتلى انهدّ رُكنه، وعظم مصابه، فخشيت عليه العقيلة زينب فأخذت تسليّه وتصبّره، وفيما قالت له: «ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي، فو الله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات إنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة والجسوم المضرّجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يُدرس أثره ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا علواً». (مقتل الحسين _ المقرّم).

المرة الثانية:

في قصر الإمارة في الكوفة في مجلس ابن زياد لما أُدخل عليه السبايا، التفت ابن زياد إلى زين العابدين، قال له: ما اسمك؟

قال: أنا علي بن الحسين.

فقال له: أو لم يقتل الله علياً؟

فقال السجاد: كان لي أخ أكبر مني يسمى علياً قتله الناس.

فرد عليه ابن زياد بأن الله قتله.

قال السجاد: الله يتوفى الأنفس حين موتها، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله.

فكبر على ابن زياد أن يرد عليه فأمر أن يضرب عنقه، فتعلقت به العقيلة زينب واعتنقته وقالت: حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت، وهل أبقيت أحداً غير هذا، فإن أردت قتله فأقتلني معه.

فقال السجاد عليه السلام: أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة؟

فنظر إليهما ابن زياد وقال:

دعوه لها، عجباً للرحم ودت أنها تقتل معه. (مقتل الحسين _ المقرّم).

المرة الثالثة:

في الشام حينما كان الأسارى في خربة لا تقيهم من حر ولا برد، خرج الإمام السجاد مرة يتروّح فلقيه المنهال بن عمر وقال له: كيف أمسيت يا بن رسول الله ﷺ؟

قال ؏: أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

يقول المنهال: وبينا يكلمني إذ امرأة خرجت خلفه تقول له: إلى اين يا نعم الخلف؟ فتركني وأسرع إليها فسألت عنها قيل هذه عمته زينب.

* * *

المرة الرابعة:

في يوم عاشوراء حينما هجمت الخيل على الخيام وانتهوا إلى علي بن الحسين وهو مريض لا يستطيع النهوض، فقال قائل: لا تدعوا منهم صغيراً ولا كبيراً، وآخر يقول: لا تعجلوا حتى نستشير الأمير، وجرد الشمر سيفه يريد قتله، فقال له حميد بن مسلم يا سبحان الله أتقتل الصبيان إنما هو صبي مريض، ومنعه ابن سعد خصوصاً لما سمع العقيلة زينت تقول: لا يُقتل حتى أقتل دونه، فكفوا عنه.

* * *

(٥٣)
الرأس الشريف

أول رأس حُمل في الإسلام هو رأس ابن بنت رسول الله ﷺ.

وقد كان الحسين ؏ وهو في طريقه إلى العراق يكثر من ذكر يحيى بن زكريا حتى روي عن علي بن الحسين ؏ أنه قال:

«خرجنا مع الحسين عليه السلام، فما نزل منزلاً ولا ارتحل عنه إلاّ وذكر يحيى بن زكريا، وقال يوماً: إن من هوان الدنيا على الله تعالى أن رأس يحيى أُهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل».

مشيراً بذلك إلى أنه يشبه يحيى بن زكريا في إهداء رأسه.[1]

* * *

والحقيقة أن رأس الحسين عليه السلام الذي طافوا به البلدان مع ركب السبايا إلى أن دفن مع الأجساد في أصح الروايات في العشرين من صفر عند عودة الإمام السجاد والهاشميات إلى كربلاء. أن هذا الرأس في الوقت الذي يمثل فاجعة عظيمة، وفي الوقت الذي هو معجزة ودلالة واضحة على أحقيّة أهل هذا البيت وأنهم آل الله وآل الرسول صلى الله عليه وآله كما سنرى ذلك، هو في ذات الوقت مثّل دوراً عظيماً في مواصلة الثورة، وكشف الظلم الأموي، وبيان مظلومية أهل البيت عليهم السلام.

جوانب الاعجاز:

أما الجانب الاعجازي في الرأس الشريف فيتضح من خلال عدة أمور:

الأوّل: بقاء هذا الرأس الشريف خلال المدة الطويلة، ورغم الجراحات ورغم ضربه بالخيزران، ورغم تناقله من بلدة إلى بلدة على رأس الرمح، رغم كل ذلك فقد بقي هذا الرأس حياً، طرياً نورانياً، حتى كان يقول فيه مروان وهو في الشام:

يا حبذا بردك في اليدين ... ولونك الأحمر في الخدين

الثاني: اشعاع النور من الرأس الشريف، وقد تكرر ذلك في أكثر من موضع:

منها: حينما وضعه خولّى بن يزيد _ وهو حامل الرأس من كربلا _ في منزله، تقول زوجته الأسدية: «والله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة التي وضع تحتها الرأس».[2]

(١) نفس المهموم: ١٨٥.

(٢) نفس المهموم: ٣٨٢.

ومنها: حينما أخذوا الرؤوس من الكوفة إلى الشام، فلما نزلوا بعض المنازل _ كما في رواية ابن الجوزي _ وكان في ذلك المنزل دير فيه راهب فأخرجوا الرأس على عادتهم _ من الصندوق الذي كان يحفظونه فيه أثناء الرحيل _ ووضعوه على الرمح وحرسه الحرس، فلما كان في نصف الليل رأى الراهب نوراً من مكان الرأس إلى عنان السماء، فأشرف على القوم وقال: من أنتم؟ إلى أن سأل عن الرأس، فلما عرفه أسلم، إلى آخر الرواية _ وسوف ننقلها كاملة إن شاء الله في الحديث عن دور الرأس.[1]

الثالث: نطق الرأس وتلاوته القرآن.

لقد نطق الرأس بآيات الكتاب الكريم في أكثر من مرة.

منها: ما روي عن المنهال بن عمر، قال:

«أنا والله رأيت الحسين عليه السلام حين حُمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ الكهف حتى بلغ قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾[2] فأنطق الله الرأس بلسان ذرب ذلق فقال: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي».[3]

وفي رواية أخرى عن زيد بن أرقم في الكوفة قال: «كنت في غرفة لي فلما حاذاني الرأس سمعته يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾ فناديت: رأسك والله يا بن رسول الله وأمرك أعجب وأعجب».[4]

* * *

---

(١) نفس المهموم: ٤٢٣.

(٢) الكهف: ٩.

(٣) نفس المهموم: ٤٥٧.

(٤) نفس المهموم: ٤١٢.

(٥٤)
الرأس الشريف

دور الرأس الشريف:

لم يكن الرأس الشريف مجرد مأساة.

وإنما كان لهذا الرأس الشريف دور مهم في تعرية النظام الأموي، وبيان مظلومية أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

وربما كانت المشيئة الإلهية، والحكمة الغيبية وراء ذلك.

وقد ظهرت ردود فعل هنا وهناك ضد النظام الأموي ببركة الرأس الشريف.

١ _ أول تلك الآثار وردود الفعل ظهرت في زوجة (خولى بن يزيد) الذي كان مكلّفاً برأس الحسين عليه السلام.

يروي المؤرخون أنه لما أقبل بالرأس إلى الكوفة وجد باب القصر مغلقاً، فأتى به إلى منزله ووضعه تحت أجانة في الدار، فسألته زوجته: ما الخبر عندك؟ قال: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار.

فقالت: ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن بنت رسول الله، لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبدا.[1]

٢ _ ومنها ما كان في مجلس ابن زياد، حيث قام عدد من المسلمين واعترضوا عليه في صنيعه بالرأس. ووضح لدى من حضر القصر فضل الحسين عليه السلام ومنزلته وموقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان من أولئك المعترضين على ابن زياد أنس بن مالك، وزيد بن الأرقم.

فقد قام أنس بن مالك لما رأى ابن زياد يضرب بالقضيب وجه الحسين

(١) نفس المهموم: ٣٨٣.

عليه السلام، فقال مخاطباً ابن زياد: أما والله لأسوئنك، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّل موضع قضيبك من فيه.[1]

ومثل ذلك فعل زيد بن الأرقم، وزاد على ذلك أنه خاطب الناس قائلاً: أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمّرتم ابن مرجانة، والله ليقتلنّ خياركم وليستعبدنّ شراركم، فبُعداً لمن رضي بالذل والعار.[2]

٣ _ ما نقلناه من حديث الراهب وحكاية الرأس.

وتفصيلها كما رواه ابن الجوزي ما يلي:

إن القوم كلما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من صندوق أعدوه له فوضعوه على رمح وحرسوه طول الليل إلى وقت الرحيل ثم يعيدوه إلى الصندوق ويرحلون، فنزلوا بعض المنازل وفي ذلك المنزل دير فيه راهب فأخرجوا الرأس ووضعوه على الرمح وحرسه الحرس على عادتهم وأسندوا الرمح إلى الدير، فلما كان في نصف الليل رأى الراهب نوراً من مكان الرأس إلى عنان السماء، فأشرف على القوم وقال: من أنتم؟ قالوا: نحن أصحاب ابن زياد. قال: وهذا رأس من؟

قالوا: رأس الحسين بن عليّ عليه السلام ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: نبيكم؟

قالوا: نعم.

قال: بئس القوم أنتم، لو كان للمسيح ولد لأسكنّاه أحداقنا، ثم قال: هل لكم في شيء؟

قالوا: وما هو؟

---

(١) نفس المهموم: ٤٠٣.

(٢) نفس المهموم: ٤٠٤.

قال: عندي عشرة آلاف دينار تأخذونها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة وإذا رحلتم تأخذونه.

قالوا: وما يضرنا، فناولوه الرأس وناولهم الدنانير.

فأخذه الراهب فغسله وطيبه وتركه على فخذه وقعد يبكي الليل كله، فلما أسفر الصبح، قال: يا رأس لا أملك إلا نفسي وأنا أشهد أن لا الله إلا الله وأن جدك محمداً رسول الله، وأشهد أنني مولاك وعبدك، ثم خرج عن الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت عليهم السلام.

ثم إنهم أخذوا الأكياس وفتحوها وإذا الدنانير قد تحولت خزفاً وعلى أحد جانبي الدينار مكتوب ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾[1] وفي الجانب الآخر ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[2] فرموها في النهر.[3]

٤ ـ الذين اعترضوا على يزيد في مجلسه وقد ذكرناه في حديث سابق فراجع.

* * *

ومن الادوار التي كانت للرأس الشريف الستر على العائلة واشتغال الناس عن النظر إليهم، وقد نقلنا حكاية سكينة بنت الحسين في ذلك فراجع.

(٥٥)

عودة السبايا يوم الأربعين

يوم الأربعين:

كان بقاء حرم رسول صلى الله عليه وآله في الشام سبباً في توعية الناس وفضيحة الحكم الأموي، فقد كانوا صلوات الله عليهم في الأيام السبع التي أقاموها في

(١) إبراهيم: ٤٢.

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

(٣) نفس المهموم: ٤٢٣.

الشام ينصبون مـآتم العـزاء ويحضـر عنـدهم النـاس فتمـتلأ صـدورهم حنانـاً علـيهم وحقداً على يزيد وبني أمية.

ولـذا نجـد أن يزيـد بـن معاويـة أظهـر النـدم علـى قتـل الحسـين عليه السلام وحـاول أن يلقـي بالجريمـة فـي عنـق ابـن زيـاد، ولـذا حـين دخلـت هنـد زوجـة يزيـد وعاتبتـه علـى قتـل الحسـين عليه السلام قـال لهـا: فـاعولي يـا هنـد وابكـى علـى ابـن بنت رسول الله وصريخة قريش، عجّل عليه ابن زياد فقتله قتله الله».

وإن كـان هـو صـاحب الجريمـة الكبرى،وهـو الـذي أبـدى الشـماتة وأظهـر السرور والفرح وزيّن بلاد الشام حين قدمت سبايا آل الرسول.

وعلى كل حال لما اطّلع مروان على حال الناس قال ليزيد:

«لا يصـح لـك أن توقـف أهـل بيـت الحسـين فـي الشـام، فأعـدّ لهـم الجهـاز وابعث بهم إلى الحجاز».[١]

قال الشيخ المفيد:

ولمـا أراد _ يزيـد _ أن يجهـزهم دعـا علـي بـن الحسـين عليه السلام فاسـتخلى به ثم قال:

لعـن الله ابـن مرجانـة، أمـات والله لـو أنـي صـاحب أبيـك مـا سـألني خصـلة أبـداً إلا أعطيتـه إيّاهـا، ولـدفعت عنـه الحتـف بكـل مـا اسـتطعت، ولكـن الله قضـى ما رأيت، كاتبني من المدينة، وانهِ إليّ كل حاجة تكون لك.

ثم جهَّزهم وأنفذ معهم النعمان بن بشير.[٢]

وفـي روايـة أنـه دفـع لهـم أمـوالاً وقـال: يـا أم كلثـوم خـذوا هـذه الأمـوال عوض ما أصابكم.

فقالـت أُم كلثـوم: يـا يزيـد مـا أقـل حياؤك،وأصـلب وجهـك، تقتـل أخـي

---

(١) نفس المهموم: ٤٥٢.

(٢) نفس المهموم: ٤٦٤.

وأهل بيتي وتعطيني عوضهم مالا، والله لا كان ذلك أبداً.[١]

وفي بعض الروايات أن يزيد سلّم رؤوس الشهداء إلى علي بن الحسين عليه السلام فألحقها بالأبدان الطاهرة يوم العشرين من صفر، وهذه هي أصح الروايات في مدفن رأس الحسين عليه السلام كما ذكر ابن شهر آشوب.

* * *

قال الراوي:

ولما رجع نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا العراق قالوا للدليل: مرّ بنا على طريق كربلا.

فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل رسول الله صلى الله عليه وآله فتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وآقاموا المآتم واجتمع إليهم نساء ذلك السواد، فأقاموا على ذلك أياماً.

* * *

يا نازلين بكربلا هل عندكم	خبرٌ بقتلانا وما أعلامها
ما حالُ جثةِ مَيّت في أرضِكم	بَقيت ثلاثاً لا يُزار مُقامها

* * *

أمّا جابر الأنصاري فإنه لما وصل القبر سقط مغشياً عليه، فلما أفاق قال:

يا حسين، يا حسين، يا حسين.

حبيب لا يجيب حبيبه.

ثم قال: وأنّى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك وفُرّق بين بدنك ورأسك...[٢]

* * *

(١) نفس المهموم: ٤٦٥.

(٢) نفس المهموم: ٥٤٣.

(٥٦)
العودة إلى المدينة

وحال أمّ البنين:

عاد ركب الهاشميات معهم الإمام السجاد إلى المدينة المنورة، بعد أن مكثوا أياماً في كربلاء عند قبر الحسين وقبور سائر الشهداء.

يقول بشير بن حذلم:

لمّا قربنا منها نزل علي بن الحسين عليه السلام فحطّ رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه.

وقال: «يا بشير رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟

قلت: بلى يا بن رسول الله.

فقال عليه السلام: إدخل المدينة وانع أبا عبد الله.

قال بشير: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء وانشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ... قتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرّج ... والرأس منه على القناة يدار

ثم قال: هذا علي بن الحسين عليهما السلام مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم، وأنا رسوله إليكم، أعرفكم مكانه.. فما بقيت في المدينة مخدرّة ولا محجّبة إلا برزن من خدورهن يدعون بالويل والثبور».[١]

وفي رواية[٢] بينا بشير ينعى الحسين عليه السلام إذ أقبلت أم البنين، وسألت عن الخبر، يقول بشير:

---

(١) نفس المهموم.

(٢) المجالس الفاخرة: ١٠٣.

«قلت لها: عظّم الله لكِ الأجر بولدك عبد الله.

قالت: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين.

قلت لها: عظّم الله لك الأجر بولدك جعفر.

قالت: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين.

قلت لها: عظّم الله لك الأجر بولدك عثمان.

قالت: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين.

قلت لها: عظّم الله لك الأجر بولدك العباس.

قالت: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين.

فلما أخبرتها بقتله صاحت ولطمت ونادت: واحسيناه واسيداه».

* * *

روى المحدّث القمي (الشيخ عباس القمي) في مفاتيح الجنان: أن أمّ البنين كانت تخرج لرثاء العباس وإخوته إلى البقيع فتبكي وتندب، وتُبكي كل من يمر بها، حتى كانت تُبكي مروان بن الحكم إذا مرّ بها وشاهد شجوها وهو أكبر المعادين لأهل البيت عليهم السلام.

نعم، كانت ترثي أبناءها وتقول:

يا من رأى العباس كرّ على جماهير النقد ... ووراه من أبناء حيدر كل ليثٍ ذي كبد

أُنبئت أنّ ابني أُصيب برأسه مقطوع يد ... ويلي على شبلي أمال برأسه ضرب العمد

لو كان سيفك في يديك لما دنى منه أحد

ولها أيضاً في رثاء أولادها:

لا تدعوني ويكِ أمّ البنين ... تذكريني بليوث العرين

كانت بنون لي ادعى بهم ... واليوم أصبحت ولا من بنين

ياليت شعري أكما أخبروا ... بأن عباساً قطيع اليمين

* * *

ثـمّ أن النـاس لمّـا سـمعوا بـالخبر خرجـوا مـن المدينـة إلـى المكـان الـذين كـان زيـن العابـدين قـد نصـب فسـطاطه فيـه واحتشـدوا هنـاك، يقـول بشـير بـن حـذلم: فضـربت فرسـي حتـى رجعـت إلـيهم فوجـدت النـاس قـد أخـذوا الطـرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطيت الرقاب حتى قربت من باب الفسطاط.

وخرج الإمام السجاد، ووضع له كرسي، وخطب الناس وقال في جملة ما قال:

«أيّهـا النـاس: أصـبحنا مطـرودين مشـرّدين مـذودين وشاسـعين عـن الأمصـار كأنـا أولاد تـرك أو كابـل، مـن غيـر جـرم إجترمنـاه ولا مكـروه إرتكبنـاه، ولا ثلمـة فـي الإسـلام ثلمناهـا، مـا سـمعنا بهـذا فـي آبائنـا الأولـين، إن هـذا إلا اختلاق.

والله لـو أن النبـي ﷺ تقـدّم إلـيهم فـي قتالنـا كمـا تقـدّم إلـيهم فـي الوصـاية بنا لما ازدادوا على ما فعلوا بنا فإنّا لله وإنّا إليه راجعون؟

* * *

أمّا أُم كلثوم فإنها لمّا توجهت إلى المدينة أنشدت:

مدينـةُ جـدّنا لا تقبلينـا ... فبالحسـرات والأحـزان جينـا
خرجنـا منـك بـالأهلين جمعـاً ... رجعنـا لا رجـال ولا بنينـا
وكنّـا فـي الخـروج بجمـع شـمل ... رجعنـا حاسـرين مسـلّبينا
وكنّـا فـي أمـان الله جهـراً ... رجعنـا بالقطيعـة خائفينـا
ومولانـا الحسـين لنـا أنـيس ... رجعنـا والحسـين بـه رهينـا
فـنحن الضـائعات بـلا كفيـل ... ونحـن النائحـات علـى أخينـا
ألا ياجـدنا قتلـوا حسـيناً ... ولـم يرعـوا جنـاب الله فينـا
ألا ياجـدنا بلغـت عـدانا ... مناهـا واشـتفى الأعـداء فينـا
لقـد هتكـوا النسـاء وحملوهـا ... علـى الاقتـاب قهـراً أجمعينـا

أمّا العقيلة زينب فإنها أخذت بعضادتي باب المسجد ونادت:

«يا جداه، إني ناعية إليك أخي الحسين».

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت، ولا رؤي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قتل عبيد الله بن زياد لعنه الله».[1]

* * *

(١) البحار/ المجلسي: ٤٥/ ٣٨٦.

الملحق

(١)

مصيبة الزهراء عليها السلام

روي أنها عليها السلام مازالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدّة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد أخرى وتقول لولديها:

«أين جدكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد أخرى.

أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكما».

ثم مرضت ومكثت أربعين ليلة، فلما نعيت إليها نفسها دعت أم أيمن، وأسماء بنت عميس، وقالت لأسماء: ائتيني بماء، فأتتها به فاغتسلت أحسن غسل، وقالت: هات طيبي الذي أتطيّب به وهاتي ثيابي التي أصلي فيها، وأتيني ببقية حنوط والدي الذي نزل به جبرائيل من الجنة فقسّمه أبي أثلاثاً ثلث لنفسه، وثلث لعلي، وثلث لي، فضعيه عند رأسي، ثم تسجّت بثوبها وقالت:

انتظريني هنيئة فإن أجبتك وإلاّ فاعلمي أني قدمت على ربي.

قالت أسماء: فانتظرتها هنيئة، ثم ناديتها فلم تجبني، فناديت: يا بنت محمد المصطفى، يا بنت أكرم من حملته النساء، يا بنت خير من وطأ الحصى.

يا بنت من كان قاب قوسين أو أدنى، فلم تجب.

فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا.

قالت أسماء:

دخل الحسنان فقالا: يا أسماء ما يُنيم أمنا في هذه الساعة؟

فقلت: يا ابني رسول الله ليست أمكما نائمة بل قد فارقت الدنيا.

فوقع الحسن عليها يقبّلها ويقول: يا أماه كلميني.

وأقبل الحسين يقبّل رجليها ويقول: يا أماه أنا ابنك الحسين كلميني.

ثم انطلقا فأخبرا أمير المؤمنين عليه السلام فبكى وضج الناس بالبكاء وقال عليه السلام:

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل

وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل

* * *

وصية الزهراء عليها السلام:

لما حضرتها الوفاة أوصت إلى أمير المؤمنين قائلة:

يا ابن العم إنه قد نعيت إليّ نفسي وإنني لا أرى ما بي إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك باشياء في قلبي.

فقال لها عليّ عليه السلام: «أوصني بما أحببت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله».

فقالت:

يا ابن عمي ما عهدتني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني.

فقال عليه السلام:

معاذ الله أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من أن أوبخك بمخالفتي، قد عزّ عليّ مفارقتك وتفقدك إلا أنه أمر لابد منه، والله جدّدت علي مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنا لله وإنّا إليه راجعون. ثم بكيا ساعة، ثم قال عليه السلام: أوصيني بما شئت فإنك تجديني أمضي فيما أمرتني وأختار أمرك على أمري.

فقالت:

جزاك الله عني خيراً يا ابن عم رسول الله، أوصيك:

أن تتزوج بعدي بابنة اختي أمامة، فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال لابد لهم من النساء.

ثم قالت: أوصيك يا ابن عمي أن تتخذ لي نعشاً، فقد رأيت الملائكة صوروا صورته، ثم وصفته له فاتخذه لها، وهو أول نعش حمل على وجه الأرض.

ثم قالت: أوصيك ألاّ يشهد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقي فإنهم عدوي وعدوّ رسول الله، ولا تترك أن يصلي عليّ أحد منهم ولا من اتباعهم وادفني ليلاً إذا هدئت الأصوات ونامت الأبصار».

* * *

دفن الزهراء عليها السلام:

لما توفيت الزهراء عليها السلام اجتمع الناس وجلسوا وهم ينتظرون خروج الجنازة.

فخرج أبو ذر الغفاري وقال:

«انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد أُخر إخراجها في هذه العشية، فقام الناس وانصرفوا، فلما أن هدأت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها علي عليه السلام والحسن والحسين وعمار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذر وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم فصلوا عليها ودفنوها في جوف الليل، وسوّى علي عليه السلام حواليها قبوراً سبعة حتى لايُعرف قبرها.

روي عن الحسين عليه السلام: أن علياً عليه السلام لما دفنها وأخفى موضع قبرها، فلما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خديه، وحوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

السلام عليك يا رسول الله مني ومن ابنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك، المختار لها سرعة اللحاق بك.

قلّ يا رسول الله عن ضيفتك صبري، وضعف عن سيدة النساء تجلدي.

يا رسول الله: أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهّد.

إلى أن قال:

وستنبئك ابنتك بتظاهر أمتك عليّ وعلى هضمها، فأحفها السؤال واستخبرها الحال.[1]

---

(١) عن بيت الاحزان: القمي.

الهجوم على دار الزهراء عليها السلام:

ثم إنّ عمراً جمع جماعة من الطلقاء والمنافقين وأتى بهم إلى منزل أمير المؤمنين عليه السلام فوافوا بابه مغلقة، فصاحوا به:

اخرج يا علي فإن خليفة رسول الله يدعوك، فلم يفتح لهم الباب فأتوه بحطب فوضعوه على الباب وجاؤوا بالنار ليضرموه.

فصاح عمر: والله لئن لم تفتحوا لنضرمنّه بالنار.

فلما عرفت فاطمة عليها السلام أنهم يحرقون منزلها قامت وفتحت الباب فدفعوه قبل أن تتوارى عنهم، فاختبأت فاطمة الزهراء عليها السلام وراء الباب، فدفعها عمر حتى ضغطها بين الباب والحائط، ثم أنهم تواثبوا على أمير المؤمنين عليه السلام وهو جالس على فراشه واجتمعوا عليه حتى أخرجوه سحباً من داره.

فلما رأت الزهراء ذلك حالت بينهم وبين بعلها قائلة: والله لا أدعكم تجرون ابن عمي ظلماً.

فأمر عمر قنفذا ابن عمه أن يضربها بسوطه، فضربها قنفذ بالسوط على ظهرها وجنبيها إلى أن أنهكها وأثر في جسمها الشريف، وجعلوا يقودون أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد حتى أوقفوه بين يدي أبي بكر، فلحقته فاطمة إلى المسجد لتخلّصه فلم تتمكن من ذلك، فعدلت إلى قبر أبيها وهي تقول:

نفسي على زفراتها محبوسة ... ياليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدك في الحياة وإنما ... أبكي مخافة أن تطول حياتي

* * *

الإجبار على البيعة:

ثم انها عليها السلام أنّت أنّة وقالت: «وامحمداه، واحبيباه، واأباه، وأبا قاسماه، واأحمداه، واقلة ناصراه، واغوثاه، واطول كربتاه، واحزناه، وامصيبتاه، واسوء صباحاه، وخرت مغشية عليها فضج الناس بالبكاء، والنحيب».

ثم إنهم أوقفوا علياً بين يدي أبي بكر وقالوا له: مد يدك فبايع.

قال: والله لا أبايع، والبيعة لي في رقابكم.

وفي رواية أنه قال: فإن لم أفعل.

قالوا: نضرب الذي فيه عيناك.

فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أُشهدك أنهم أتوا أن يقتلوني فإني عبد الله واخو رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم أبى عليهم، فمدوا يده كرهاً فقبض على أنامله فراموا! باجمعهم فتحها فلم يقدروا فمسح عليها أبو بكر وهي مضمومة.

فالتفت علي عليه السلام إلى قبر رسول الله قائلاً:

«يابن عم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني».

في منعها من البكاء:

ثم إن الزهراء عليها السلام رجعت إلى منزلها وأخذت بالبكاء والعويل ليلها ونهارها وهي لا ترقأ دمعتها ولا تهدأ زفرتها، فاجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: يا أبا الحسن إن فاطمة تبكي الليل والنهار، فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فرشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا، وطلب معايشنا، وإنا نخبرك أن تسألها أما أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فقال عليه السلام: حبّاً وكرامة.

فأقبل عليه السلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفيق من البكاء ولا ينفع فيها العزاء، فلمّا رأته سكنت هنيئة له، فقال:

يا بنت رسول الله إن شيوخ المدينة يسئلون أن أسألت أما تبكين أباك ليلاً وإما نهاراً، فقالت: يا ابا الحسن ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فوالله لا أسكن ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال لها علي عليه السلام: افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك.

ثم أنه عليه السلام بنى لها بيتاً في البقيع نازحاً عن المدينة يسمى بيت

الأحـزان، وكانـت إذا أصـبحت قـدمت الحسـن والحسـين أمامهـا وخرجـت إلـى البقيـع باكيـة، فـلا تـزال بـين القبـور باكيـة فـإذا جـاء الليـل أقبـل أميـر المـؤمنين إليهـا وساقها بين يديه إلى منزلها.

* * *

مـدة مكثها:

قال الشيخ عباس القمي:

اختلفـت الأقـوال فـي مـدة مكـث فاطمـة صـلوات الله عليهـا بعـد وفـاة النبـي صلى الله عليه وآله، فالمكثر يقول: ستة أشهر.

والمقل يقول: أربعين يوماً.

والـذي أختـاره أنهـا مكثـت بعـد أبيهـا صـلوات الله عليهمـا وآلهمـا خمسـة وتسعين يوماً وقبضت في ثالث جمادي الآخرة.

انتهى آخر ما أمكننا بالعجالة سطره، في يوم تولد الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ١١/ ذو القعدة عام (١٤٠٦هـ) وأنا في جوار أُخته العلوية المعصومة فاطمة عليها السلام رزقنا الله شفاعتها وشفاعته وشفاعة أجدادهم الطاهرين عليهم السلام أبد الآبدين.

* * *

الملحق

(٢)

مقتل الإمام عليّ عليه السلام

آيات في أهل البيت عليهم السلام:

ما زال القرآن الكريم ينزل بالولاية لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله والإشادة بفضلهم وطلب مودتهم، والتأكيد على ولاية علي عليه السلام:

فقال تعالى: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.[(١)]

وقال: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ﴾.[(٢)]

وقال: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.[(٣)]

وقال: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾.[(٤)]

وقال: ﴿ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾.[(٥)]

وصايا الرسول صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام:

وطالما أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل بيته خيرا وجعل الولاية فيهم وطلب أن يبلّغ الحاضر الغائب.

---

(١) الأحزاب: ٣٣.
(٢) المائدة: ٥٥ و٥٦.
(٣) المائدة: ٦٧.
(٤) الشورى: ٢٣.
(٥) الفرقان: ٥٧.

فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

وقال: «من كنت أنا نبيّه فعليّ أميره».

وأحلّه محل هرون من موسى فقال:

«أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

واودعه علمه وحكمته فقال:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها».

ثم قال: «أنت أخي ووصي ووارثي، لحمك من لحمي، ودمك من دمي، وسلمك سلمي، وحربك حربي، والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وأنت غداً على الحوض خليفتي، وأنت تقضي ديني وتنجز عداتي، وشيعتك على منابر من نور مبيضّةً وجوههم حولي في الجنة وهم جيراني، ولولا أنت يا علي لم يُعرف المؤمنون بعدي».

وقال صلى الله عليه وآله:

«من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال علياً من بعدي وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي لا أنزل الله لهم شفاعتي».

وقال صلى الله عليه وآله:

«من أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني».

وقال صلى الله عليه وآله: «يا علي أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله».

الرسول صلى الله عليه وآله يخبر الإمام بقتله:

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام سأل رسول الله صلى الله عليه وآله في شهر رمضان فقال: يا رسول الله: ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟

فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله، ثم بكى، فقال علي: ما يبكيك يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وآله: أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر، كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث اشقى الأولين والآخرين فضربك على قرنك فخضب منها لحيتك.

فقال عليه السلام: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟

فقال صلى الله عليه وآله: في سلامة من دينك.

ثم قال: يا علي من قتلك فقد قتلني، ومن أغضبك فقد أغضبني، ومن سبّك فقد سبني، لأنك مني كنفسي، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، إن الله خلقني وإيّاك واصطفاني وإياك، وإختارني للنبوة وإختارك للإمامة.

عليّ عليه السلام ينعى نفسه:

وكان عليه السلام في ليالي شهر رمضان يفطر ليلة عند الحسن وأخرى عند الحسين وثالثة عند عبد الله بن جعفر زوج العقيلة زينب، وكان لا يزيد على ثلاث لقم، فقيل له في ذلك، فقال: حتى يأتيني أمر الله وأنا خميص.

قالت أم كلثوم: لما كانت ليلة التاسع عشر من شهر رمضان قدَّمتُ إليه طبقاً فيه قرصان من الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش، فلما نظر إليه وتأمله قال لي: يا بنيّة أتقدّمين لي أدامين في طبق واحد؟ أتريدين أن يطول وقوفي بين يدي الله؟

ثم قال عليه السلام: يا بنيّة ما من أحد طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلاّ طال وقوفه بين يدي الله يوم القيامة.

ثم قال عليه السلام: يا بنيّة والله لا آكل شيئاً حتى ترفعي أحد الأدامين، قالت أم كلثوم: فأردت أن أرفع الملح، فقال: لا. فرفعت اللبن ثم أكل ثلاث لقم وحمد الله وقام إلى مصلاه.

ثم رقد هنيئة وفزع مرعوباً وهو يقول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي

العظيم، ثم جمع أولاده، وقال: في هذا الشهر تفقدوني، إني رأيت رؤية وأريد أن أقصّها عليكم.

قال:

رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي: إنك قادم إلينا عن قريب، يجيء إليك أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك وأنا والله مشتاق إليك، فهلّم إلينا فما عندنا لك خير وأبقى.

فلما سمعوا كلامه ضجوا بالبكاء، فأقسم عليهم فسكتوا، ثم أقبل يوصيهم.

قالت أم كلثوم: ولم يزل أبي تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، يخرج ساعة بعد ساعة إلى ساحة الدار يقلّب طرفه إلى السماء وينظر في الكواكب وهو يقول: والله ما كَذِبت ولا كُذِبت وإنها الليلة التي وُعدت بها، ثم يعود إلى مصلاه وهو يقول: اللهم بارك لي في الموت، ويكثر من قول إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

قالت أم كلثوم: أرّقت معه ليلتي وقلت: ما لي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد، قال: يا بنيّة قد قرب الأجل وانقطع الأمل، ولم يزل يصلي حتى نهض للخروج فلبس ثيابه، وكان في الدار أوز فلما رأينَه رفرفن وصحن، فقال عليه السلام: صوائح تتبعها نوائح.

ولما وصل إلى باب الدار فعالجه ليفتحه فتعلق الباب بمئزره وانحل المئزر فشدّه وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت	فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت	إذا حلّ بناديكا
ولا تغتر بالدهر	وإن كان يواتيكا
كما أضحكك الدهر	كذلك الدهر يبكيكا

ثم قال: اللهم بارك لي في الموت، اللهم بارك لي في لقائك.

قالت أم كلثوم: وكنت أمشي خلفه فلما سمعته قلت: واغوثاه: قال يا بُنيَّه ما هو بنعاء ولكنها دلالات وعلامات للموت يتبع بعضها بعضاً.

تقول: جئت إلى الحسن عليه السلام فأخبرته بالأمر فقام وتبعه فلحق به قبل دخول الجامع فقال يا أبتاه ما أخرجك في هذه الساعة وقد بقي من الليل ثلثه، فقال: يا بني رأيت رؤياً أقلقتني.

قلت: فقصّها عليّ.

الرؤيا:

فقال: رأيت كأن جبرئيل نزل من السماء على جَبل أبي قبيس فتناول منه حجرين وأخذ بهما إلى الكعبة، ثم ضرب أحدهما بالآخر وذرَّهما في الهواء فما بقي في المدينة ومكة بيت إلاّ وقد دخله من ذلك الرمي.

قلت: وما تأويل هذه الرؤيا؟

قال عليه السلام: إن صدقت رؤياي فإن أباك مقتول، ولا يبقى بيت في مكة والمدينة إلا أصابه غَمٌّ.

قلت: وهل تدري متى يكون ذلك؟

قال: يا بني إن الله تعالى يقول: ﴿وَما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾،[1] ولكن أخبرني رسول الله أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان.

فقال الحسن عليه السلام: أريد أن أمضي معك.

فقال: أقسمت بحقي عليك إلا ما رجعت إلى الدار، فرجع فوجد أخته أم كلثوم خلف الباب فدخل فأخبرها وجلسا يتحادثان.

ولما وصل أمير المؤمنين عليه السلام المسجد صلّى وِردَه وعقّب، ولما لاح الفجر علا المأذنة.

---

(١) لقمان: ٣٤.

الأذان و الصلاة:

وأذّن وكان إذا أذّن لم يبق بيت في الكوفة إلا ويدخله صوته، ثم نزل وهو يسبّح الله ويقدسّه.

وكان من كرم أخلاقه أنه يتفقد النائمين ويوقظهم للصلاة ويقول الصلاة الصلاة أيها النائم يرحمك الله، ثم يتلو: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» ففعل ذلك على عادته، ومرّ على إبن ملجم فرآه نائماً على وجهه فقال: يا هذا قم من نومتك هذه فإنها نومة يمقتها الله وهي نومة الشيطان، نم على يمينك فإنها نومة العلماء، أو على يسارك فإنها نومة الحكماء، أو على ظهرك فإنها نومة الأنبياء، فتحرّك الملعون كأنه يريد أن يقوم وهو في مكانه لا يبرح فتركه أمير المؤنين عليه السلام.

فلما مضى أمير المؤمنين عليه السلام لصلاته نهض ابن ملجم مسرعاً ووقف بإزاء الأسطوانة فأمهله حتى صلى الأولى وركع وسجد الأولى، فلما سجد الثانية أهوى إليه بالسيف فضربه على أم رأسه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «فزت ورب الكعبة».

ونادى جبرئيل في السماء: «تهدّمت والله أركان الهدى، وانطمست نجوم السماء، وأعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قُتل إبن عم المصطفى، قُتل الوصي المجتبى، قُتل علي المرتضى، قُتل والله سيد الأوصياء، قَتَله أشقى الأشقياء».

قال العلامة المجلسي:

فلما سمع الناس الضجّة ثار إليه كل من في المسجد، ثم أحاطوا بأمير المؤمنين عليه السلام وهو يشد رأسه بمئزره، والدم يجري على وجهه ولحيته، وقد خُضبت بدمائه وهو يقول: «هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله».

فلما ضُرب أمير المؤمنين عليه السلام أمر الحسن أن يصلي بالناس فصلى بهم، وصلى الإمام صلاته إيماءاً وهو جالس والدم ينزف من رأسه وهو يميل

تارة ويسكن أخرى، فلما فرغ الحسن من صلاته جاء إلى أبيه وأخذ رأسه ووضعه في حجره وهو يقول: «وا انقطاع ظهراه، يعزّ عليّ أن أراك هكذا».

ثم بكى الحسن وسقط من دموع عينيه على وجه أبيه، ففتح الإمام عينيه وقال يا بني حسن ما هذا البكاء، لا روع على أبيك بعد اليوم، هذا جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه جدتك خديجة وأمك الزهراء والحور العين محدقون ينتظرون قدوم أبيك فاكفف عن البكاء، يا بني أتجزع على أبيك وغداً تُقتل مسموماً.

ثم حملوه إلى مصلاّه.

ثم إنه عليه السلام يوم العشرين أعطى إذناً عاماً للناس وأمر بفتح الباب لوداعهم فكانوا يدخلون لوداعه، ولما صار آخر النهار ثقل حاله، فأغلق أولاده الباب رأفة بالإمام.

يقول الأصبغ بن نباتة:

غدوت أنا والحارث الهمداني وجماعة فقعدنا على الباب فسمعنا البكاء من داخل الدار فبكينا، فخرج الحسن عليه السلام يقول: إنصرفوا إلى منازلكم فانصرف القوم غيري، فأشتد البكاء من منزله فبكيت، فخرج الحسن عليه السلام وقال لي: ألم آمركم بالإنصراف؟

قلت: لا والله يا بن رسول الله لا تتابعني نفسي ولا تحملني قدماي، فدخل إلى الدار ولم يلبث أن خرج وقال لي أدخل، فدخلت فإذا أمير المؤمنين عليه السلام مستند معصوب الرأس بعصابة صفراء وقد اصفر لون وجهه حتى لا أدري أيهما أشدّ صفرة العصابة أم وجهه.

يقول الأصبغ: وبكيت لذلك واجهشت بالبكاء، فالتفت إليّ وقال: يا أصبغ لا تبك، قلت: كيف لا أبكي، قال: يا أصبغ إنها الجنة، قلت: سيدي إنما أبكي على فراقك.

الطبيب:

ثم استدعي له بطبيب هو «أثير السكوني» فلما نظر إلى جرحه دعا شاة ذبحوها وأخرجوا رئتها، فأخرج منها عرقاً وضعه في جرح أمير المؤمنين فلما استلّه قال يا أمير المؤمنين أعهد عهدك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك. فلما سمع أهل البيت أجهشوا بالبكاء.

ثم قال عليه السلام: هل من شربة من لبن، فأتوه بقعب من لبن فشربه وقال: هذا آخر رزقي من الدنيا.

دخول ابن ملجم:

قال الأزدي: ثم أدخل ابن ملجم على أمير المؤمنين عليه السلام ودخلت معه فيمن دخل، فسمعته عليه السلام يقول: النفس بالنفس، إن أنا متّ فاقتلوه كما قتلني، ثم قال: احبسوا هذا الأسير وأطعموه وأحسنوا أساره، وإن عشت فانا أولى بما صنع فيّ، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثلوا به.

ثم التفت إلى الناس وقال: سلوني قبل أن تفقدوني وخففوا من سؤالكم لمصيبة إمامكم، فبكى الناس واشفقوا عن سؤاله.

فقام حجر بن عدي، فلما أبصر به الإمام قال له: كيف بك إذا دعيت إلى البراءة مني، فقال: والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إربا واضمت لي النار وألقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك.

فقال: وُفِّقتَ لكلِ خَيرٍ يا حِجر.

الوصية:

ثم إنه عليه السلام أوصى لولده الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين ومحمداً وجميع ولده ومن حضر من شيعته، ثم دفع إليه الكتب والسلاح، ثم

قال يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك وأدفع كتبي وسلاحي كما أوصى إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم أقبل على الحسن عليه السلام يوصيه قائلاً: أنت ولي الأمر بعدي وولي الدم، ثم قال: اكتب فكتب...

«هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى المؤمنين بشهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وصلى الله على محمد وآله وسلّم، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

ثم إني أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي من المؤمنين بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم».

الله الله في الأيتام لا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له بذلك الجنّة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار.

الله الله في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم.

الله الله في جيرانكم فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بهم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم.

الله الله في بيت ربكم فلا يخلو منكم ما بقيتم، فإنه إن تُرك لم تناظروا، وأدنى ما يرجع به من أمّه إن يُغفر له ما سلف.

الله الله في الصلاة فإنها خير العمل، إنها عماد دينكم.

الله الله في الزكاة فإنها تطفيء غضب ربكم.

الله الله في صيام شهر رمضان فإن صيامه جُنّةٌ من النار.

الله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معائشكم.

الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم، فإنما يجاهد رجلان إمام هدى أو مطيع له مقتد بهداه.

الله الله في ذرية نبيكم، لا يُظلمن بين أظهركم وأنتم تقدرون على المنع عنهم.

الله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يأووا محدثاً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بهم ولعن المحدِثَ منهم ومن غيرهم والمؤوي للمحدثين.

الله الله في النساء وما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلّم به نبيكم أن قال: «أوصيكم بالضعيفين: النساء وما ملكت أيمانكم».

الصلاة، الصلاة، الصلاة... لا تخافوا في الله لومة لائم، يكفكم من أرادكم وبَغى عليكم، قولوا للناس حسنا كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولي الله أمركم شراركم ثم تدعون فلا يُستجاب لكم عليهم.

عليكم يا بني بالتواصل والتباذل والتبادر، وإيّاكم والتقاطع والتدابر والتفرق وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، وحفظكم الله من أهل بيت وحفظ نبيكم فيكم، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

بكاء النساء:

ودخل حبيب بن عمرو على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين ما جرحك هذا بشيء وما بك من بأس.

فقال له: يا حبيب أنا والله مفارقم الساعة، فبكى حبيب وكانت أم كلثوم جالسة فلما سمعت كلامه بكت، فقال لها عليه السلام: ما يبكيك يا بنيّة؟

قالت: ذكرت يا أبه أنك تفارقنا الساعة فبكيت، فقال لها: لا تبكي والله لو تريّن ما يرى أبوك ما بكيتي.

قال حبيب: وما الذي ترى يا أمير المؤمنين؟

قال: أرى ملائكة السماء، والنبيين بعضهم إثر بعض وقوفاً إلى أن يبلغوني، وهذا أخي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله جالس عندي يقول أقدم فإنّ الذي أمامك خير من الذي أنت فيه.

ثم التفت إلى أهله وولده وأخذ يودّعهم وهو يقول: استودعكم الله. وهم يبكون.

الرؤيا الأخرى:

ثم التفت إلى ولده الحسن عليه السلام وقال:

يا بني إني رأيت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله فشكوت إليه ما لقيت فقال: أدع عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد استجاب الله دعاك.

الوصية الخاصة:

ثم التفت إلى أولاده، وقال: أحسن الله لكم العزاء، ألا وإني منصرف عنكم وراحل ولاحق بحبيبي محمد صلى الله عليه وآله كما وعدني.

ثم إلتفت إلى ولده الحسن وقال:

إذا أنا متّ فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه من كافور الجنّة، ثم ضعني على سريري ولا يتقدم أحد منكم مقدّم السرير فإنكم تكفونه، فإذا حُمل المقدّم فأحملوا المؤخر، وليتبع المؤخر المقدّم، وحيث قام سريري فهو موضعي.

فإذا أنت صليت عليّ فنحِّ السرير عن موضعه، واكشف التراب فستجد لحداً وساجة، فاضجعني فيها ثم غيّب قبري.

وكأني بكم وقد خرجت عليكم الفتن من ههنا وههنا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبة.

ثم قال: يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة.

الإغماء والوفاة:

ثم أغمي عليه ساعة وأفاق وقال: هذا رسول الله وعمي حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله وكلهم يقولون عجّل قدومك علينا فإنّا إليك مشتاقون.

قال محمد بن الحنفية: ونظرنا إلى شفتيه وهما يختلجان بذكر الله وجعل جبينه يترشح عرقاً وهو يمسح بيده إلى أن فارقت روحه الدنيا.

الجهاز والدفن:

قال محمد بن الحنفيّة:

ثم أخذنا في جهازه ليلاً وكان الحسن عليه السلام يغسلّه والحسين عليه السلام يصب الماء عليه، وكان عليه السلام لا يحتاج إلى من يقلبّه، بل كان يتقلّب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر، ثم لفوه بخمسة أثواب كما أمر عليه السلام، ثم وضعوه على السرير وتقدم الحسن والحسين إلى السرير من مؤخره وإذا مقدمه قد ارتفع ولا يُرى حامله، وكان حاملاه من مقدّمه جبرئيل وميكائيل، فما مرّ بشيء على وجه الأرض إلا انحنى له ساجداً.

قال ابن الحنفية: والله لقد نظرت إلى السرير وإنه ليمرّ بالحيطان والنخل فتنني له خشوعاً.

فلما انتهيا إلى قبره وإذا مقدّم السرير قد وضع، فوضع الحسن عليه السلام مؤخره، ثم قام الحسن عليه السلام وصلى عليه والجماعة خلفه، ثم زحزحنا السرير وكشفنا التراب وإذا نحن بقبر محفور ولحد شقوق وساجةَ منقوشة مكتوب عليها «هذا ما ادخرّه له جدّه

نوح النبي للعبد الصالح الطاهر المطهّر». فلما أرادوا نزوله سمعوا هاتفاً يقول: إنزلوه إلى التربة الطاهرة فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب، فدُهش الناس عند ذلك وتحيّروا، وأُلحد أمير المؤمنين عليه السلام قبل طلوع الفجر.

خطبة الإمام الحسن عليه السلام:

ثم أن الامام الحسن عليه السلام خطب الناس فقال:

لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله يوجهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه.

ولقد توفي في الليلة التي عُرج فيها بعيسى بن مريم وما خلّف صفراء ولا بيضاء عدا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، ثم خنقته العبرة فبكى وأبكى الناس معه.

* * *

فهرست الموضوعات

* * *